من المضنـــــون

للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة/

002 022 3901030

من جوامع الكلم

إن بعض الإشارات لا يمكن فك رمزه ولا فتح كتره إلا بالبواده التي ترد من الله جل جلاله ومن اقتباس المريد المخلص الصادق من مشكاة الأنـــوار: (ومـــا لا يدرك جله، لا يترك كله).

المقدمة

الحمد لله الظاهر، يصون السر تترلاً إحسانيا، القريب القريب، والمجيب المجيب، تجلى سبحانه بمعانى صفاته العلية فحجبت أنوار تجليه الآيات والكائنات حتى أشرق على أفق اللطائف ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ١١٥. واجه أحبابه سبحانه بجماله المقدس بعد أن تخلوا فتأهلوا لجنابه القدسى الأعلى، فلمعت عليهم لوامع العظموت والجلال فصعقوا رهبة، وغابوا به سبحانه عنهم رغبة، فآنسهم بعواطف وده وسقاهم من طهور حبه، فأحاطت بهم الأنوار بعد سلب الظلال، وأسمع آذان قلوبهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فصلت: ٣٠، وواجههم بريحان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ النحل: ١٢٨، فصارت همومهم همًّا واحداً فى الله، وأقبل بهم سبحانه عليه وأقبل سبحانه عليهم، فهم مواجهون لقدس الجبروت والجميل الولى الرءوف اللطيف القريب مواجههم، فهم الروحانيون فى الهياكل الإنسانية، أجسامهم فى الأرض وقلوبهم بالرفيق الأعلى.

والصلاة والسلام على سدرة منتهى علوم الخلائق، ذى الخلق العظيم، وآله بدور الهداية، وورثته الأنجم الزاهرة، سرج الدنيا ومصابيح الآخرة، ورضوان الله عليهم أجمعين... وبعد:

الباب الأول

من غوامض أسرار العلوم الإلهية

الفصل الأول : فيض من البحر النورانى

كنوز الأسرار:

إنما رمز الرجال كنوز أسرارهم، لأن الحكمة جلت أن يباح بها إلا لأهلها، وهى قوت الأرواح، فيجب أن تظهر وأن تنكر، حتى يلتقطها أهلها من لسان العارف، أو من المسطر على الأوراق من العوارف– قال ﷺ (رُب مبلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ)[1]

إذا لم تتضح لك الحكمة عند مطالعة الرموز فهاجر إلى الرجل أين كان، فإن فقدته فلا تفقد رياضة نفسك وتهذيبها.

أَخَافُ إِذَا مَا بُحْتُ بِٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيْ ... أَنْ تَظْهَرَ ٱلأَنْوَارُ فِي ٱلأُفُقِ ٱلْجَلِيْ

لَكِنْ أُسَتِّرُ حَالَتِي عَنْ أَعْيُنٍ ... شُغِلَتْ بِشَهْوَتِهَا عَنِ ٱلنُّورِ ٱلْعَلِيْ

وَإِذَا شَهِدْتُ جَمَالَ مَحْبُوبِي فَلاَ ... لَوْمٌ عَلَيَّ إِذَا أَرَيْتُكُمْ ٱلْوَلِيْ

نُورٌ أَضَاءَ لِمَنْ بِهِ قَدْ خُصِّصُوا ... فَازُوا بِهِ لَمْ يُعْطَهُ ٱلْخِبُّ ٱلْخَلِيْ

نُورُ ٱلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ فِي قَلْبِنَا ... قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ لِلْمُقْتَدِيْ

نُورُ ٱلْحَبِيبِ بِكُلِّ وَقْتٍ مُشْرِقٌ

---

(١) [رواه البخارى فى كتاب الفتن الباب ٨، وكتاب العلم الباب ٩، وكتاب الحج الباب ١٣٢، والترمذى فى كتاب العلم الباب ٧، والدارمى فى المقدمة الباب ٢٤، وابن ماجة فى المقدمة الباب ١٨، وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣٩، ٤٥، ٤٩، ٧٣].

هذه الأسرار لا تفهم بميزان العقول، ولا تدرك بضوابط الفهوم، ولا تنال بمدارسة العلوم، وإنما هى صورة المعلوم تنقش على جوهر النفس بعد التسليم الكامل، وتزكية النفس بالمسارعة إلى العبادات، وتطهيرها من قاذورات البشرية ورعونات الإنسانية، وإطفاء نار الأطماع والحظوظ والآمال التى اقتضتها القوى الجسمانية، كل ذلك لا ليدرك الأسرار، ولا ليتحصل على مشاهدة الأنوار، بل قياماً بما أمر الله سبحانه واقتداء برسول الله ﴿**ص وآله**﴾ ، حتى يجاهد نفسه فى ذات الله حق الجهاد خالصاً مخلصاً، وعندها يورثه الله تعالى ذوق هذه الأسرار، وينشله سبحانه وتعالى من ظلمات الشك والشرك والظلومية والجهولية إلى أن يعيده كما بدأه، مشاهداً لجمال ربه سامعاً لكلامه سبحانه منه كما شهد وسمع يوم ألست قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ التين: ٤ - ٦. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ البقرة: ٢٥٧. فمن أخرجه الله سبحانه من الظلمات إلى النور فشهد ما لم يشهده غيره، فتغيرت أخلاقه وعاداته وصفاته حتى صار غريباً بين أهله ولام عليه من هو فى الظلمات، أيحب أن يعود إليها بعد أن أخرجه الله منها؟ إنما ذلك يكون لمن لم يشهد تلك المشاهد العلية، و لم يذق من تلك الأسرار الربانية ما يجعله يسارع إلى محاب الله ورضوانه. قال العاشق:

أَعِدْ ذِكْرِ مَنْ أَهْوَىٰ وَلَوْ بِمَلاَمِي ... فَإِنَّ أَحَادِيثَ ٱلْحَبِيبِ مُدَامِي

وهنا يطيب لنا أن نقول:

هِيَ ٱلنَّفْسُ إِنْ طَهُرَتْ وَلاَحَ ضِيَاهَا ... لَهَا تَنْجَلِي ٱلأَسْرَارُ حَالَ صَفَاهَا

وَلِلْعَالَمِ ٱلأَعْلَىٰ بِلَيْلِ ٱنْمِحَائِهَا ... بِهِ حُجِّبَتْ تَرْقَىٰ بِمَحْوِ جَفَاهَا

تَكُونُ لَـدَيْهَا رُوحُ قُـدْسٍ تَجَمَّلَـتْ ... بِمَشْـهَدِ أَنْـوَارِي بِسِـرٍّ وَفَاهَـا
وَتَسْبَحُ فِي ٱلْمَلَكُوتِ فِي رَوْضِ أُنْسِـهِ ... وَلُطْفِـي يَشْـمَلُهَا وَقَـدْ عَافَاهَـا
إِلَىٰ حَضْرَةِ ٱلتَّعْيِينِ وَٱلْوَجْـهُ مُشْـرِقٌ ... بِـأَنْوَارِهِ ٱلْعَلْيَـا لَهَـا أَجْلاَهَـا
تُبَدَّلُ تِلْكَ ٱلـنَّفْسُ بِـٱلرُّوحِ عِنْـدَهَا ... لَهَا تَنْجَلِي فِـي حَضْـرَتِي بِجَلاَهَـا
هِيَ ٱلرُّوحُ رُوحُ ٱلْقُدْسِ نُـورُ جَمَالِنَـا ... إِذَا لاَحَ فِـي ذَاتٍ صَـفَتْ أَعْلاَهَـا
فَتَظْهَـرُ أَنْـوَارِي لَهَـا فِـي دُنُوِّهَـا ... وَعِنْـدَ ٱلتَّجَلِّـي تَظْهَـرَنْ مَعْنَاهَـا
يَكُونُ لَهَا ٱلْمَلَكُـوتُ أَرْضَ سَـمَائِهَا ... جَمَالَ صِفَاتِي حَالَ كَشْـفِ غِطَاهَـا
وَلاَ أَرْضَ فِي حَالِ ٱلْوُصُـولِ وَلاَ سَـمَا ... فَقَـدْ بُـدِّلَتْ وَٱلنُّـورُ عَـمَّ رُبَاهَـا
وَفِي حَيْثُ وَلَّتْ مَشْهَدُ ٱلْوَجْهِ مُشْـرِقٌ ... مُحِـيطٌ بِهَـا لِتَـذُوقَ رَاحَ هُـدَاهَا
فَتَهْـدِي بِـهِ لِسَـبِيلِهِ بِمَعُونَـةٍ ... وَتَحْظَـىٰ بِمَشْـهَدِهِ وَنَيْـلِ رِضَـاهَا
تَنَالُ ٱلرِّضَا عَنْـهُ بِـهِ وَكَـذَا ٱلرِّضَـا ... بِهِ عَنْهَا فِـي جُـنْحِ بِلَيْـلِ سَـرَاهَا
وَتُشْرِقُ شَمْسُ ٱلْحَـقِّ تَكْشِـفُ آيَـةً ... لِعَيْنَـيْ مَكَانَتِهَـا وَذَاكَ مُنَاهَـا
تَكُونُ إِذَنْ رُوحًـا تَزَكَّـتْ وَطُهِّـرَتْ ... بِذَاتٍ صَـفَتْ وَتَجَمَّلَـتْ بِحُلاَهَـا
بِهَـذَا يَكُـونُ ٱلْعَبْـدُ عَبْـدَ حَقِيقَـةٍ ... لَهُ مِـنْ مَقَامَـاتِ ٱلرِّضَـا أَعْلاَهَـا
هُوَ ٱلْفَـرْدُ مَنْظُـورٌ بِـأَعْيُنِ فَضْـلِهِ ... وَٱلنُّـورُ مَعْلُـومٌ لأَهْـلِ حِمَاهَـا
لَـهُ نُـزُلُ ٱلْقُـرْبِ ٱلْعَلِـيِّ بِفَضْـلِهِ ... وَأَسْـرَارُهُ تُخْفَـىٰ وَلَـوْ أَبْـدَاهَا
وَكَيْفَ يَذُوقُ ٱلْعَقْـلُ وَٱلْعَقْـلُ عَاقِـلٌ ... مُـدَامًا صَـفَا عَـنْ مِثْلِـهِ أَخْفَاهَـا
وَيُـدْرِكُ أَسْـرَارًا تَعَالَـتْ وَقُدِّسَـتْ ... بِهِ وَهْوَ مَحْكُـومٌ بِظَـاهِرِ فَحْوَاهَـا
نَعَمْ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يَفْرَحُ مَنْ حُبِـي ... نَعَـمْ وَبِرَحْمَتِـهِ يَلُـوحُ سَـنَاهَا
وَذَ لِكَ بَعْـدَ ٱلاِتِّبَـاعِ بِهَـدْيِ مَـنْ ... هُوَ ٱلنُّورُ نُورُ ٱلـذَّاتِ جَـلَّ عُلاَهَـا
وَرَحْمَتُـهُ ٱلْعُظْمَـىٰ بِوُسْـعَةِ فَضْـلِهِ ... وَبَـابُ وُصُـولٍ لِلَّـذِي يَهْوَاهَـا
وَعَمَـلٌ بِسُـنَّتِهِ وَنَهْـجُ صِـرَاطِهِ ... وَأَدَبٌ لِسُـنَّتِهِ وَمَـنْ وَالاَهَـا
أَلاَ يَاحَبِيـبَ ٱللَّـهِ أَنْـتَ وَسِـيلَةٌ ... لِـذَاتِي تَـدَارَكْهَا تَنَـلْ جَـدْوَاهَا
لَهَـا فَتَفَضَّـلْ يَـاحَبِيبِي بِنَظْـرَةٍ ... بِهَا تُصْـفُو مِـنْ أَدْرَانِهَـا وَجَفَاهَـا

إِلَىٰ أَنْ تُمَتَّعَ مِنْــكَ يَاسَــيِّدَ ٱلْــوَرَىٰ بِوَصْــلِكَ يَاطَــٰهٰ وَنَيْــلِ صَــفَاهَا
حَبِيبِـــي وَأَدْخِلْهَــا مَدِينَــةَ فَضْــلِكُمْ فَوَصْــلُكَ يَــامَوْلاَيَ خَيْــرُ قِرَاهَــا
نَعَمْ هُيِّمَــتْ وَتَشَــوَّقَتْ لِتَنَــالَ مَــا بِهِ تَسْعَدَنْ بِشُــهُودِ حُسْــنِ رُبَاهَــا
عَلَيْكَ صَــلاَةُ ٱللَّــهِ يَاسَــيِّدَ ٱلْــوَرَىٰ صَلاَةً بِهَــا أَحْظَــىٰ بِنَيْــلِ صَــفَاهَا

الفصل الثانى:

رحيق من الكمالات الإلهية

مراتب التوحيد

السـماع ، والتسـليم ، والتصـديق ،
والعـلم ، والـذوق ، والكشـف ،
والشـهود ، والرؤيـة ، والمعـرفة ،
والتحـقيق ، والإطـلاع ، والفـناء.

عِلْـمٌ وَذَوْقٌ وَوَجْـدُ ... حَـالٌ مَقَـامٌ وَوُدُّ
فَهْـمٌ لأَسْـرَارِ غَيْـبٍ ... كَشْـفٌ لِحَـالِيَ يَبْـدُو
تَجَـرُّدٌ عَـنْ قُيُـودٍ ... وَرَشْـفُ رَاحٍ وَوِرْدُ
شُـهُودُ مَعْنَـىٰ صِـفَاتِي ... إِذَا عَـدَاكَ ٱلْعَـدُّ
مَـوْتٌ حَيَـاةٌ وَوَصْـلٌ ... قُـرْبٌ وَمَـا ثَـمَّ بُعْـدُ
مَحْـوٌ عَـنِ ٱلأَيْـنِ وَصْـلٌ ... لِلـذَّاتِ وَٱلْغَيْـبُ يَبْـدُو
تُنَـاوَلَنْ مِـنْ طَهُـورِي ... وَمِـنْ جَمَـالِي تُمَـدُّ
تَبْـدُو ضِـيَاءً بِنُـورِي ... مِـنْ بَعْـدِ ذَا لَـيْسَ صَـدُّ
جَمْـعٌ بِـهِ أَنْـتَ غَيْـبٌ ... تُجْلَـىٰ لِـذَاتِيَ فَـرْدُ
تَمُـدُّ بِـٱلنُّورِ أَهْلِـي ... مِنْـكَ ٱلْهُـدَىٰ وَٱلرُّشْـدُ
فِـي عَـالَمِ ٱلْمُلْـكِ نُـورٌ ... وَعِنْـدَ أَعْلَـىٰ مُمَـدُّ
مِـرْآةُ وَصْـفِي وَحُسْـنِي ... بَـابٌ وَلَـيْسَ يُسَـدُّ
أُفْـقٌ لِمَجْلَـى ٱلْمَعَـانِي ... لَـكَ ٱلْمَعَـالِمُ تَبْـدُو

تَكُـــونُ خَمْـــرًا وَرَاحًـــا ... إِطْـــلاَقُ سِـــرِّكَ قَيْـــدُ
غَيْبًـــا طَهُـــورًا بِمَعْنًـــى ... تَجَـــدُّدٌ لاَ يُـــرَدُّ
غَيْبًـــا عَـــنِ ٱلـــرُّوحِ لَـــٰكِنْ ... لَـــكَ ٱلصَّـــفَا وَٱلْمَجْـــدُ
عَبْـــدٌ تَجَمَّلْـــتَ مِنِّـــي ... وَمَطْلَعِـــي لَـــكَ حَـــدُّ
هٰـــذِي مَرَاتِـــبُ أَهْلِـــي ... أَوْصَـــافُهُمْ لاَ تُحَـــدُّ
جَمْـــعٌ فَفَـــرْقٌ فَمَحْـــقٌ ... صَـــبٌّ خَلِيـــلٌ فَعَبْـــدُ
أَوَّاهُ لَـــوْ كُنْـــتُ أُبْـــدِي ... مَـــا فِـــي ٱلْفُـــؤَادِ وَأَحْـــدُو
نَطَـــقَ ٱلْجَمَـــادُ وَلاَحَـــتْ ... أَنْـــوَارُهُ وَهْـــوَ أَحَـــدُ
لَـــٰكِنَّ حَـــالِي خَفِـــيٌّ ... يَدْرِيـــهِ غَـــوْثٌ وَفَـــرْدُ
غَيْـــبٌ وَلَـــيْسَ طَرِيـــقٌ ... وَلِلْمُـــرَادِينَ يَبْـــدُو
صَـــلِّ وَسَـــلِّمْ وَبَـــارِكْ ... عَلَـــى ٱلْحَبِيـــبِ تُمَـــدُّ

أسماء الله الحسنى

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الأعراف: ١٨٠.

أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون، منها: سبعون جمال، وعشرون جلال، وتسعة كمال.

وهذه الأسماء جميعها كمال للذات الإلهية، وهى مقتضى حضرة الرب المعبر عنها بالأحدية.

فالذات الإلهية فى عماء العماء وغيب الغيب وظلمة الظلمة، ما تعلمه عنها ذرة تراب هو ما يعلمه أكمل الرسل. ولكن للذات كمال، هذا الكمال مقتضى حضرة الأسماء والصفات التى هى الرب. هذه الحضرة لم تستطع أن تتحمل غيب حضرة الذات ولا تقف أمامها، لذلك انفصلت عنها واستوى الرب على العرش ليدبر الكون.

وحضرة الرب لها كمال، وكمالها التجليات، وكمال التجليات الآيات، وكمال الآيات ظهورها فى الكائنات.

فمن حجبته الكائنات عن الآيات رد إلى أسفل الدركات، ومن شغلته الآيات عن التجليات كان من الأنعام والبهائم، ومن حجبته التجليات عن الصفات سقط فى هاوية الفردوس، ومن وقف عند الأسماء و لم يتعدها إلى مجلى الذات حجب فى مقعد الصدق عن شهود ذات الله عز وجل.

لذلك فالذى زج به فى كل هذه و لم يقف عند جنات ولا فردوس ولا مقعد صدق ولا نور وجه ولا القدس الأعلى هو فرد واحد (فقولوا عليه الصلاة والسلام) معنى ومبنى حيثما ظهر، وفى أى زمان ومكان ظهر، فهو الذى سماه السدرة التى انتهت إليها علوم كل الخلائق، أى منتهى ما علم الأنبياء والرسل والأولياء وغيرهم، وأما ما فوقها فلم يعلمه إلا هو، وما وصل إليه غيره ﴿**ص وآله**﴾ .

أسماء اللّه الحسنى بالتفصيل

اسم الذات	الحيطة الأسمائية	الحيطة الصفاتية	أسماء الكمال	أسماء الجمال الصرف		أسماء الجلال الصرف		أسماء الجمال الجلالى		أسماء الجلال الجمالى
الله	المؤمن	القدوس	الحق	الرحمن	الحميد	القهار	المتكبر	الملك	القادر	السلام
سبحانه	المتكبر	المهيمن	الحى	الرحيم	المحيى	القابض	العلى	الحكم	الوالى	الرافع
وتعالى	الوهاب	السميع	الصمد	الخالق	المقدم	الخافض	الكبير	العدل	مالك الملك	المعز
أسماء الحيطة الكبرى	الرزاق	البصير	الأول	البارىء	البر	المذل	المميت	العظيم	ذو الجلال والإكرام	الحسيب
هو	الفتاح	الخبير	الأخر	المصور	التواب	القوى		الرقيب	المقسط	الواجد
القيوم	العليم	الكريم	الظاهر	الغفار	العفو	المتين		الحكيم	الوارث	الماجد
	الحليم	المحصى	الباطن	الباعث	الرءوف	المؤخر		المجيد	المقيت	المتعال
	الحفيظ	البديع	الواحد	اللطيف	الغنى	المنتقم		الباعث		الجامع
	المغيث	المبدىء	الأحد	الغفور	النافع	المانع		الشهيد		
	الواسع	الباقى		الشكور	النور	الضار		الوكيل		
		الصبور		المجيب	الهادى	الجليل		الولى		
				الودود	الرشيد	العزيز		المعيد		

هِيَ ٱلأَسْـمَاءُ تُظْهِـرُ مُقْتَضَـاهَا ... لِيَشْهَدَ مَنْ دُعِي بَـدْءًا ضِـيَاهَا
أَضَاءَتْ بِـٱلتَّجَلِّي فِـي ظُهُـورٍ ... وَهٰذَا ٱلْكَوْنُ مَظْهَرُهَـا عُلاَهَـا
أَلاَحَـتْ لِلنُّفُـوسِ إِذَا تَزَكَّـتْ ... شُمُوسًا أَظْهَرَتْ مَعْنَـىٰ هُـدَاهَا
تَرَاهَا ٱلرُّوحُ بِٱلإِشْـرَاقِ جَهْـرًا ... بِآثَـارٍ وَحَقًّـا لاَ تَرَاهَـا
وَكُـلُّ ٱلْكَـوْنِ مِـرْآةٌ لِنُـورٍ ... عَلِـيٍّ أَظْهَـرَتْ فِيـهِ بَهَاهَـا
جَلاَلٌ مُقْتَضَىٰ عَظَمُـوتِ مَجْـدٍ ... جَمَالٌ يَقْتَضِي فَضْـلاً رِضَـاهَا
هِيَ ٱلأَسْـمَاءُ يَشْـهَدُهَا مُـرَادٌ ... رَأَىٰ بِعُيُونِهَا ٱلْحُسْـنَىٰ صَـفَاهَا
فَأَبْصَـرَهَا بِهَـا غَيْبًـا مَصُـونًا ... وَقَدْ حَجَبَ ٱلنُّهَىٰ قَهْـرًا سَـنَاهَا
هِيَ ٱلأَسْمَا تُظَلِّـلُ مَـنْ أَرَادَتْ ... وَتَلْبِسُـهُ لِبَاسًـا مِـنْ حُلاَهَـا
وَقَدْ جُهِلَتْ وَقَدْ عُرِفَتْ وَخُفِيَـتْ ... وَقَدْ ظَهَرَتْ وَسُتِرَتْ فِي حِمَاهَـا
عَلَتْ قَدْرًا عَـنِ ٱلأَرْوَاحِ مَجْـدًا ... وَلاَحَتْ بِـٱلتَّنَزُّلِ فِـي عَطَاهَـا
هِيَ ٱلأَسْمَاءُ غَيْبُ ٱلْغَيْبِ تُجْلَـىٰ ... لأَهْلِ ٱلإِصْطِفَا فِـي مُقْتَضَـاهَا
تَنَزُّلُهَـا جَمَـالٌ مِـنْ جَمِيـلٍ ... تُفِيضُ ٱلْخَيْرَ يُولَىٰ فِـي عُلاَهَـا
وَكَمْ قَدْ أَسْكَرَتْ فَـرْدًا مُـرَادًا ... تَجَنَّنَ فِـي هَوَاهَـا مَـا رَآهَـا
فَتَسْـلُبُهُ إِذَا ظَهَـرَتْ وَتُجْلَـىٰ ... لَهُ وَلَدَى ٱلشُّهُودِ صَـفَا وَتَاهَـا
وَكَمْ جَذَبَتْ إِلَيْهَـا مِـنْ مُـرَادٍ ... تَجَرَّدَ فِي هَوَاهَـا عَـنْ سِـوَاهَا
إِذَا نَظَـرَتْ إِلَـىٰ فَـرْدٍ بِعَـيْنٍ ... يَفِرُّ بِهَـا إِلَيْهَـا فِـي دُعَاهَـا
هِـيَ ٱلأَسْـمَا وَمِـنْ أَزَلٍ لأَبَـدٍ ... تُلِيحُ جَمَالَهَـا يُبْـدَىٰ ضِـيَاهَا
هِيَ ٱلأَسْمَا لِـذَاتٍ قَـدْ تَعَالَـتْ ... وَرُوحِي تَبْتَغِـي مِنْهَـا رِضَـاهَا

دلائل معاني صفات الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٧. لا يفقه الحكمة إلا أهلها، قد أظهر الله دلائل معانى صفاته جلية للعيان فى غضون ما أبدعه فى الكائنات من أنوار مزدوجة ومزوجة ومتشابهة ومتعددة، مما لا يحصى بياناً للعقول التى تعقل عنه سبحانه، بياناً جعلها تتمثل من معانى الصفات ما جعلها ماثلة للحس والعقل والنفس والروح، فابتلى الإنسان بجميع مشتهياته وملاذ ضرورية وكمالية ليتعرف إلى الله بما أسداه من عظائم النعم التى هى نهاية مبتغاه، التى تشغل كل قوة من قواه بملائمها لتتكشف له عجائب قدرته وغرائب حكمته، فيفر إلى المنعم المتفضل المبدع الحكيم القادر بالمحبة والشكر، فلا تحجبه عنه نعماؤه ولا تبعده عنه آلاؤه تفريدًا له سبحانه بالألوهية والعبودية والمحبة، فيقيم الحجة أنه أدى الأمانة لمن حملها له، وأنه أفرده بالعبادة وبالاستعانة به قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ الكهف: ٧. أى لحكمة ابتلائهم بها، فمن وقف عند النعمة فطلبها من غير حلها الشرعى واستعملها فى غير ما وضعت له ساء عمله، ومن طلبها ليتعرف إلى الله تعالى فى طلبها قياماً بأمر الله بالسعى فى كشف أسرارها الباطنة فيها عن الحس والجسم، بل وعن العقول أيضاً فلا تلوح للعقول إلا بقدر أنها دلائل تلفت القلوب إلى النظر فيها والأرواح إلى شهود ما فيها، ليوقن بتفريد الله تعالى بالوحدانية وباختصاصه بالعبادة دون غيره وبأنه هو المبلى، يبلى من يشاء لتظهر حقيقة نفسه أهى من الجواهر النورانية أم هى نفس من طينة الخبال، هذه الآية الشريفة تقيم الحجة أن الخير والشر فتنة وبلاء قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ الأنبياء: ٣٥. وقال ﴿**ص وآله**﴾ (اللهم ما منحتنى مما أحب اجعله معيناً لى على

ما تحب، وما زويت عنى مما أحب اجعله فراغاً لقلبى فيما تحب) [رواه الترمذى فى كتاب الدعوات ٧٣].

اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم من بلاء يشغل القلب بغيرك، ومن فتنة تلقى الأهواء فى القلب، وأسألك عنايتك وفضلك وعفوك وغفرانك ورضوانك إنك مجيب الدعاء.

ظلمة الكثرة ونور الوحدة

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ (هود: ٧).

العرش حيطة مكوناته لا محل له تتره، والكون وحيطته، افتتحه الحق جل جلاله بالرحمة قال ﴿ص وآله﴾ يقول الله تعالى: (سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي)[1] فالإيجاد أولاً، والإمداد بما به كمال الإيجاد سبقته الرحمة؛ ولولا أن الرحمة سبقت لم يوجد شيء، ولما كان العرش حيطة الكائنات، وكان هو والكائنات مفتتحاً إيجاده بالرحمة، أشار الله تعالى إليه جل شأنه بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ طه: ٥. وتلك الإشارة لها غامض علم ينكشف لأهل التمكين بعد التلوين، وطهور تحتسيه الأرواح الكاملة من كوثر الحب بعد القرب، ونور تقتبسه من مشكاة الأنوار المحمدية فى فهم المثل الأعلى.

ولما كان العرش محيطاً بالكائنات وقد قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ١٠١.

وأشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ هود: ٧. إلى لوح التوحيد المحفوظ المسطرة فيه دلائل التوحيد بأجلى آياتها، وسطور الأنوار المبينة للأسماء والصفات سر التتريه والتفريد.. كان الماء رمزاً إلى فهم أسرار التوحيد من وحدة مشهودة تفنى فى كثرة محسوسة فتظهر واحدة، وتحجب بكثرة عند أهل الحجاب. أما أهل الشهود، فإن الكثرة تحجب بالوحدة عندهم، وهى محسوسة

---

(١)[رواه البخارى فى كتاب التوحيد الباب ٥٥، ١٥، ٢٢، ٢٨، وكتاب بدء الخلق الباب ١، ومسلم فى كتاب التوبة الحديث ١٤-١٦، وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٣٥، وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٦٠، ٣١٣، ٣٥٨، ٣٨١، ٣٩٧، ٤٣٣، ٤٦٦].

للباصرة وصورة جلية تمثل أمام جوهر النفس الزكية فيجذبها إلى شهود الأسماء والصفات الكثيرة إلى أحدية الذات، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة: ١١. وقال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ الرعد: ٣٩. فيمحو الأسباب ويثبت المسبب فى قلب من أحب، ويمحو ظلمة الكثرة الحاجبة عن نور الوحدة ويثبت غيب غوامض التوحيد بسر واحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ الأنبياء: ٣٠.

فالجعل إيجاد الأشياء من الأشياء فى هذه الآية، كما أن الخلق إيجاد الأشياء من العدم قال الله تعالى﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ الكهف: ٥١، وقال تعالى ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ الرعد: ٤. فمن مزج النور بالنور والراح بالروح من آيات كتاب الله تعالى انبجلت له أنوار جلية مع كل آية. ولما كان القرآن الكريم من الله، لا ينبغى أن يفهم إلا به سبحانه وتعالى، ولا تنكشف أنوار كل آية منه إلا بانبلاج أنوار الآيات كلها بالعجز عن إدراك المتشابه والعمل بالمحكم، ولديها يكون عالماً راسخاً فى العلم قال الله تعالى : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ آل عمران: ٧.

تَرْجِمِي رُوحِي أَلِيحِي ٱلْغَيْبَ نَفْسِي ... قَدْ كَانَ بَحْرًا زَاخِرًا فِي يَوْمِ أَمْسِ
صَارَ لَوْحُ ٱلآيِ مَسْجُورًا بِمَا ... فِيهِ مِنْ آيٍ وَمِنْ أَنْوَارِ قُدْسِ
شَاهِدِي يَا عَيْنُ بَحْرًا لاَحَ لِي ... آيَةُ ٱلرَّزَّاقِ مِنْ أَنْوَارِ شَمْسِ
أَيُّهَا ٱلْبَحْرُ ٱلْجَلِيُّ هَلِ ٱنْمَحَىٰ ... مِنْكَ مَاءُ ٱلْمِلْحِ حَتَّىٰ صِرْتَ كُرْسِ؟!

فَوْقَكَ ٱلْعَرْشُ وَفَـوْقَ ٱلْعَـرْشِ مَـنْ أَبْـدَعَ ٱلأَشْـيَاءَ يُجْلِيهَـا لِرَأْسِـي
أَنْتَ حَـانُ ٱلْخَمْـرِ يَـابَحْرُ لِمَـنْ ذَاقَ رَاحَ ٱلْقُـرْبِ عَيْنًـا لاَ بِكَـأْسِ
أَشْرِقِي يَاشَـمْسُ شَـمْسَ ٱلإِجْتِبَـا بَعْدَ شَمْسِ ٱلْكَوْنِ كَشْـفًا لاَ بِلَـبْسِ
وَٱجْـذِبِي ٱلأَرْوَاحَ لِلْقُـدْسِ ٱلْعَلِـي فَٱلْمَعَـانِي أَشْـرَقَتْ تُنْبِـي بِـأُنْسِ
كَـانَ رَمْـلاً كَـانَ بَحْـرًا زَاخِـرًا أَشْرَقَ ٱلنُّورُ وَهَـٰذَا ٱلْكَـوْنُ مَـنْسِ
قَـدْ تَجَلَّـىٰ جَـلَّ بِـٱلْوَجْـهِ لِلِـي قَدَّسَ ٱلْـوَادِي فَفَـرَّتْ ثَمَّ نَفْسِـي

الفصل الثالث:

ظهور الأوصاف الجمالية

رؤية الله تعالى

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣.

بهذا أثبت الله – سبحانه – المشاهدة للمؤمنين يوم القيامة، وهذا مقام يناله أهل الكشف ممن قتلهم الحب والكلفة والشوق، والوله والصبابة، وذلك فى الدنيا أيضاً، حين لا تستطيع النفس الحبيسة فى الجسد أن تنطلق من سجنها وقيدها، وهكذا لا يظفر بهذه النضرة فى الوجوه، والنظرة إلى الرب إلا العشاق، إن رؤية المؤمنين لربهم فى الدنيا بالقلوب، وفى الآخرة بالانكشاف المتره عن المقابلة والجهة والمكان. والرؤية نوع من الكشف، والعلم للمرئى يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بأبعاده، فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه بغير أن ينقص منه قدر من الإدراك، من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلاً، والصوفى يرى أن القلب والعين شىء واحد، فهو يرى به بعين قلبه الذى به البصيرة، وبه الإيمان والحب.

عندية الوجود وعندية الوجد

قال الله تعالى﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ العندية فوق المعية، وهنا تحلو الإشارة.

ليست هناك مجانسة ولا مشابهة، ولكن المعانى التى تناسب البشرية من جمال الأسماء لها صفات، وتلك الصفات لها تأثير، وهذا التأثير له فى البشرية انفعال، وهذا الانفعال يحدث أثره، وهذا الأثر والفعل الإنسانى إذا كان يظلل النفس بظلال الحق جل جلاله بحسب أسماء المعانى المتنزلة ووجود القابل، كان الإنسان مع ربه أو مع الله، ومعه ربه أو معه الله تعالى – قال الله تعالى مخبرا عن حبيبه مع أبى بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ التوبة: ٤٠. بالنسبة للأثر الذى اقتضته ظلال معانى الصفات لمقتضى الظهور، ويكون العبد معه الله تعالى وهو تابع لا متبع – قال الله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٨. ومع الصابرين ويكون مع الصادقين، ومعية العبد لله تعالى هى بعينها من هذا الوادى، إلا أن العبد فيها يكون محمولا مستورا عليه جمعه، وهو فى مقام الفرق حيث يلوح للعقل أن له الاختيار بما ظلله من معانى صفات الجمال التى تريه أن فى مكنته من إصدار ما يشاء، وهذا هو مقام الفرق الأول. تبين لك معنى المعية منك لله، ومن الله لك، أما (عِنْدَ) فهو مقام الاختصاص حيث التجريد بعد المجاهدة الكبرى، أو بعد مفارقة كون الفساد، وتلك العندية قد تكون وجدا أو وجودا. فوجدا، قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾ (النور:٣٩).ووجوداً، قوله تعالى: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء:٦٤).

سِرُّ ﴿ عِنْدِيَّتِي ﴾ ٱتِّحَادُ شُهُودِي ... نُورُ بَدْئِي ﴿لَدُنْ﴾ بِمَحْوِ وُجُودِي

كُنْتُ بَدْءًا فِي ﴿عِنْدَ﴾ وَٱلْجَمْعُ صَوْبِي ... قَبْلَهَا فِي ﴿ لَدُنْ ﴾ لَدَىٰ تَفْرِيدِي

فِي ﴿لَدُنْ﴾ لَمْ أَكُنْ وُجُودًا وَلَٰكِنْ ... مُقْتَضَىٰ وَصْفِهِ وَمَحْضُ ٱلْجُودِ

ثُمَّ فِي ﴿ عِنْدَ ﴾ أَبْرَزَتْنِي جَمَالاً ... صُورَةً لِلْجَمِيلِ سِرُّ صُعُودِي

أَبْدَعَ ٱلْعَالَمَيْنَ عُلْوًا وَسُفْلاً ... صُورَةً لِي لَدَىٰ بَيَانِ عُهُودِي

كُنْتُ بَدْءًا غَيْبًا أَطُوفُ بِمَجْلَىٰ ... فِي مَقَامِ ٱلتَّفْرِيدِ لاَ ٱلتَّعْدِيدِ

أَبْرَزَتْنِي مَجْلاَهُ رَمْزًا لِكَنْزٍ ... كَنْزِ غَيْبٍ يُفَكُّ بَعْدَ شُهُودِي

فَوْقَ قَدْرِ ٱلْعُقُولِ بَدْءًا وَخَتْمًا ... ذَاقَ رَاحِي ٱلأَفْرَادُ بِٱلتَّوْحِيدِ

قَدْ تَسَتَّرْتُ بِٱلْمَبَانِي وَحَالِي ... يَجْذِبُ ٱلْجِسْمَ لِلْوَلِيِّ الْحَمِيدِ

سَتَّرَتْنِي ٱلآثَارُ قَدْرِي خَفِيٌّ ... نُورُ قُدْسٍ لَمْ يُدْرَ بِٱلتَّحْدِيدِ

نُورُ قُدْسٍ مِنْ فَوْقِ نَفْخَةِ قُدْسٍ ... وَارِثٌ فِي مَكَانَةِ ٱلتَّفْرِيدِ

حَيَّرَ ٱلْعَارِفِينَ حَالِي ظُهُورًا ... كَيْفَ يُجْلَىٰ بُطُونُهُ لِلْمُرِيدِ؟

الأمانة هى معانى الصفات

لكل وطن حياة خاصة به ينال بها فيه ما لا بد له منها لينتقل للوطن الآخر كاملا مجانسا للأحياء فيه، حتى يصل إلى ربه بعد طول التطور من لدن ﴿أَلَسْتُ﴾ (الأعراف:١٧٢). إلى يوم ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ (العلق:٨).

فمن طلب فى وطن من الأوطان حياة الوطن الذى بعد وطنه فلم يعمل له انحط إلى الأنعام بل صار أضل منها. وأنت محمول فى كل أوطانك إلا فى كون الفساد الذى به تبلغ السعادة فى الميعاد.

قال الله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

وإن الأمانة هى معانى الصفات التى أنت إشراقها حال شروقها، ولتلك الأمانة كان سجود الملائكة، ولها سخر جميع ما فى السموات وما فى الأرض من الله، ونفذ بها من منح عين الصفات فى حظوة مجلى الذات، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ (النساء:٥٨).

ذق شراب كليمه فى قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾ (الأعراف:١٤٣). فى مقام اللدنية فوق العندية، فجاهد فى وطن الخدمة بحقيقة العبودية ولا تتشوف إلى ما تناله فى الوطن الآخر ما دمت فى وطن التكليف والتعريف، وإن الرؤيا لا تكون لك من عندك ولا تنال فى وطن التكليف إلا لفرد واحد هو حبيبه ﴿**ص وآله**﴾ .

إرض عن رؤيته يقينا بخبر الصادق الأمين، أو بطمأنينة المستنير بالتمكين، وإذا لاح لك منه فيك فى حال صولة الحق عليك ما يفنيك به عنك ويثبتك به لك منه فيه فى حال صولة الحق عليك، فقل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ (فاطر:٣٤).

وإن قويت الصولة وسترك فأراك طوله، وعلمت أنه لا افتراق بعد الجمع، ذقت حلاوة خمر (كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ) (رواه البخارى في كتاب الرقائق البـاب ٣٨) فقل الحمد لله ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (فاطر: ٣٥). وذق من شميم قوله عليه الصلاة والسلام: (إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى جنة آجلة) وهى الرضا لأهل التمكين، ومعية الله تعالى لكل صديق رفيق، وطب نفسا بعبير قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠).

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وورثته والتابعين.

تَحَمَّلْتُ ٱلأَمَانَةَ وَهْيَ عِبْءٌ ... ثَقِيلٌ لاَ يُقَاسُ بِكُلِّ دَيْنِ
أَبَاهَا ٱلْعَالَمُ ٱلْعُلْوِيُّ خَوْفًا ... وَأَشْفَقَ عِنْدَهَا فِى ٱلسُّفْلِ كَوْنِي
وَأَنْتَ حَمَلْتَهَا وَتَهَدْتَ عِجْلِي ... فَبَادِرْ خِلِّهَا وَٱدْخُلْ بِحِصْنِي
وَعَنْهَا فَٱفْنَ لاَ تَشْهَدْكَ أَصْلاً ... لأَنَّكَ فَرْعُ أَلْطَافِي وَحُسْنِي
بِكَ ٱلأَوْصَافُ عَنْ عَيْنِي تَجَلَّتْ ... كَفَىٰ مَا فِيكَ مِنْ وَصْفِي وَلَوْنِي
تَرَاكَ مُدَبِّرًا فَرْدًا مُرِيدًا ... وَتَجْهَلُ أَنَّهَا هِيَ مِنْ لَدُنِّي
إِذَا لَمْ تَكْتَفِ وَفٍّ بِحَمْلٍ ... وَنَادِ إِنْ أَرَدْتَ قَضَاءَ دَيْنِي
وَإِنْ شِئْتَ ٱلسَّعَادَةَ قُمْ وَنَادِ ... عَلَيْكَ تَوَكُّلِي فِي كُلِّ شَأْنِي
وَدَعْ مَا فِيكَ مِنْ حَوْلٍ وَعِلْمٍ ... وَتَدْبِيرٍ وَتَصْدِيقٍ وَمَيْنِ
فَفِي ٱلْقُرْآنِ آيَةُ سِرِّ هَذَا ... وَلاَ حَوْلَ لِعَبْدٍ يَدْنُو مِنِّي

فَمَنْ وَافَـىٰ فَبِٱلإِحْسَـانِ وَافَـىٰ وَبِٱلْكَنْزِ ٱلْمُطَلْسَمِ نُـورُ عَيْنِـي

الفصل الرابع:

الإمام الناطق وإن صمت

التلاوة.. والقراءة.. والترتيل

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ (الكهف: ٢٧).

التلاوة للدعوة أمام الطالب وغير الطالب، والقراءة أخص من التلاوة، والترتيل أخص من القراءة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة:١٨).وقال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل:٤).

فالذى يتلى هو كتاب ربنا، وهو ما يتعلق بالأحكام الشرعية من عقيدة لا نجاة إلا بها، ومن عبادة هى الصراط المستقيم، ومن معاملة تدعو إليها شئون الإنسان، فرسول الله ﴿ص وآله﴾ أمر أن يتلو كتاب ربه للخاص والعام، وهذا الكتاب هو الفرقان الذى فرق بين الحق والباطل وتسمعه آذان الرءوس، وأما القرآن فالقارىء له أولا عند إنزاله هو جبريل، والسامع له من جبريل هو سيدنا ومولانا محمد ﴿ص وآله﴾ ، وإن كان ﴿ص وآله﴾ سمعه قبل جبريل من الحكيم العليم، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه:١١٤). فإن القوة الإنسانية البشرية تحتاج إلى التعليم من جبريل، وأما النفس العلية المحمدية فإنما تلقته قبل ميثاق الأنبياء. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل:٦).

وفى قوله : ﴿ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ إشارة إلى أنه قد أنزله الله تعالى عند مقتضى إنزاله، وأنه هو حكم الله المتعلق بالمكلفين، وتلاوته فرض على رسول الله ﴿ص وآله﴾ ، وعلى كل بدل من أبداله ﴿ص وآله﴾ . والحجة إنما تقوم بعد تلاوته لا قبلها، ومن لم يسمع كلام ربنا فهو من أهل الفترة، وبسماعه تنبلج أنوار السابقية، وبقبول ما جاءنا به ﴿ص وآله﴾ تثبت سابقة الحسنى. والقبول الذى يثبت سابقة الحسنى أن تكون تلاوته ذكرى للسامع تمثل له العهد الأزلى وهو دعوة الله لذرية آدم يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف:١٧٢). فإذا تمثل جوهر النفس بالتذكر حقيقة وذكر، اقشعر جلده، ثم لان قلبه وجلده إلى ذكر الله، أى الذكر الذى يجدد الذكرى، ووجود حلاوة القبول بالمسارعة إلى قبول ما أمر الله به، وإلى ترك ما نهى سبحانه عنه، ثم عناية الله للعبد بأن يجعل له أصحابا ينهضونه بحالهم، ويدله على الله أفعالهم، ثم وجد أن الرحمة للخلق أجمعين، الأقرب فالأقرب، ثم المسارعة إلى محاب الله ومراضيه.

فإذا توفرت تلك الحقائق كلها ثبتت خاتمة الحسنى، وقامت الحجة للعبد على سابقة الحسنى فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠١). ومن علامة ذلك: طمأنينة القلب مع الخشية، قال تعالى﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

وخشوع الجوارح مع المسارعة إلى نوافل البر، وهذا هو الولى لله الذى أخبرنا الله أن له البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ولا تبديل لكلمات الله. ومن دلائل السعادة: أن يصحب من يرتل القرآن أو يقرأه سماعا عن رسول الله ﴿ص وآله﴾ ، فإن من سمع هذا فى عصره، ووجد حلاوة السماع ولين القلب عليه أن يفرح بفضل الله ورحمته.

أنواع الكتاب العزيز

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل:٦).

إن الكتاب العزيز أنواع، فمنه ذكر، وكتاب، وتتريل، وفرقان، وقرآن، فالقرآن يتلقاه ﴿ص وآله﴾ من الله مباشرة، لأنه يتعلق بالعلم الإلهى، بخلاف بقية أنواع الكتاب العزيز، فإنه يتلقاه بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام، ولذلك يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النمل:٦). ثم أشار إلى بيان الحقيقة فى التلقى بقوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ ﴾ (النمل:٧).

حتى قال له سبحانه: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (النمل:٩). فشهد سيدنا موسى عليه السلام الحق جل جلاله ظاهرا فى تجلياته برمز النار المشير إلى الجلال، وتلقى رسول الله ﴿ص وآله﴾ القرآن بلا مظهر، لأنه فرد ذات الله المراد له سبحانه، ومن سواه وما سواه مرادون له﴿ص وآله﴾ ، سر قوله ﴿ص وآله﴾ فى الحديث القدسى: (إِنِّى خَلَقْتُ مُحَمَّدًا لِذَاتِي وَخَلَقْتُ آدَمَ لِمُحَمَّدٍ وَخَلَقْتُ ٱلْكَوْنَ لآدَمَ) وسر ما أبهمه سبحانه وتعالى عن الأرواح الكاملة

بقولـــــــ

سر القراءة

قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١).

جرد نفسك وكيانك كله، واجعله أسباباً لغاية معرفة الله تعالى، وما كان القرآن فقط بهذه الكلمة الأولى (القراءة) وحسب، وإنما القراءة رمز لكل ما يأتيه الإنسان فى الجانب الإيجابى، وكل ما يدعيه فى الجانب السلبى، أمراً ونهياً.. تمتع بحلاله، وابتعد عن حرامه، وتمسك بالعقيدة، واعمل صالحاً.

بيان رموز القرآن فى أوائل السور

﴿الٓمٓ﴾ "ا" أنت، "ل" لذاتى، "م" مظهر.

﴿الٓمٓصٓ﴾ "أ" أنت، "ل" لذاتى، "م" مظهر، "ص" صفاتى.

﴿الٓمٓرٰۚ﴾ "أ" أنت، "ل" للورى، "م" مرب، "ر" رحيم.

﴿الٓرٰۚ﴾:

"أ" أنت، "ل" للوجود، "ر" روح.

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ "ك" كملت، "هـ" هويتك، "ي" يا، "ع" عينا، "ص" صدقت وشهدت ذاتى.

﴿طه﴾

"ط" طاعتك، "هـ" هدى.

﴿طسٓمٓ﴾ "ط" طويت، "س" سر، "م" مكانتك.

﴿طسٓۚ﴾

"ط" طهرت، "س" سر سويداء قلبك ووضعت فيه الحكمة.

﴿يٰسٓ﴾ "ي" يا، "س" سرى السارى فى سائر أوليائى.

﴿ص﴾

"ص" صافيتك واصطفيتك.

﴿حٰمٓ﴾ "ح" حميت، "م" مقامك الرفيع من التعدى عليه وأحارب من حاربك وأعادى من عاداك.

﴿حٰمٓ عٓسٓقٓ﴾ "ح" حميت، "م" مشاهدة، "ع" عينك، "س" وسترت سر، "ق" قلبك، أى إن الله يقول لحبيبه: خصصت ذاتك لمشاهدة عين الحقيقة، وحميتها من مشاركة الغير فلا يعرف ذاتك إلا أنا.

﴿قٓ﴾ "ق" قدمتك وقربتك فأنت المقدم أولاً وآخراً.

﴿نٓ﴾:

"ن" نور وجودى أنت.

التغنى بالقرآن

الحب والحكمة غذاء الأرواح، والأغانى طهور الحب. قال﴿ص وآله﴾ (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ) (١)

(١)[رواه البخارى فى كتاب التوحيد الباب ٤٤، وأبو داود فى كتاب الوتر الباب ٢٠، والدارمى فى كتاب الصلاة الباب ١٧١ وكتاب فضائل القرآن الباب ٣٤، وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٧٢، ١٧٥، ١٧٩]..

والقرآن: هو ما دل على كمال الأحدية وجمالها وجلالها وبهائها ونورها وضيائها، كما أن الفرقان: ما دل على الأحكام المتعلقة بالشريعة، والذكر: ما دل على العبر والأحداث التي وقعت للأمم السابقة.. فالتغنى بالقرآن خميرة الأرواح الجاذبة إلى الفتاح؛ ولذلك فإنك إذا سمعت الحكمة مبينة بلسان العبارة أو الإشارة، انتشت روحك، واقشعر الجلد، واهتز الجسم، وقام بما لا يمكن أن يقوم به إلا بسماع تلك الأغانى.

وإنا إذا أبحنا الأغانى فإنما نبيحها مع أهل الأدب، الذين تزكت نفوسهم، وبأصوات متناسبة، وبعبارة مجملة بكمال الأدب الشرعى، بعيدة عما يوقع السامع فى حيرة، أو يلقى به فى وحلة التوحيد، أو يوقعه فى حضيض مكان البهيمية، ومتى وفرت تلك الشروط كانت الأغانى جذبة حق لحق، وخطفة تلوين إلى مقام تمكين، والله ولى المؤمنين.

تَغَنَّيْتُ بِٱلأَخْفَىٰ بُنُورِ شُهُودِي ... لَدَىٰ مَحْوِ ظِلِّي فِي مَقَامِ وُجُودِي
أَغَانِيَ تُنْبِي بِٱتِّحَادِي وَغَيْبَتِي ... عَنِ ٱلْحِسِّ فِي غَيْبِ ٱلصَّفَا ٱلتَّجْرِيدِ
أُرَتِّلُ آيَاتِ ٱلتَّجَلِّي لِظَاهِرِي ... وَأَصْغَىٰ إِلَى ٱلتَّسْبِيحِ بِٱلتَّفْرِيدِ
وَلِي نَشْوَةٌ حَالَ ٱلأَغَانِي تُبِيحُ لِي ... شُهُودَ ٱلْمَعَانِي فِي ٱلْمِحَاءِ جَدِيدِ
تَلُوحُ لِعَيْنِ ٱلرُّوحِ شَمْسُ نَزَاهَةٍ ... لَهَا ٱلْغَيْبُ أُفْقِي وَٱلْبَهَا مَقْصُودِي
وَأَنْوَارُ مَجْلَى ٱلذَّاتِ فِي حُظْوَةِ ٱلضِّيَا ... مَعَالِمُ تُخْفِي نَشْأَتِي وَحُدُودِي
صَبَوْتُ وَفِي حَالِ ٱلأَغَانِي يَلَذُّ لِي ... فَنَائِي عَنِ ٱلأَخْفَىٰ بِصَفْوِ وُرُودِي
أَرَىٰ نُورَ وَجْهِ ٱلْحَقِّ حَيْطَةَ وِجْهَتِي ... وَهَيْكَلُ ذَاتِي سِدْرَةُ ٱلتَّفْرِيدِ
وَلِي قَبَسٌ مِنْ نَارِ شَمْسٍ كَمَالِهَا ... بِهِ قُدِّسَ ٱلْوَادِي بِنُورِ وَدُودِ
وَسِدْرَةُ ذَاتِي حَيْطَةٌ أَوَّلِيَّةٌ ... وَقَدْ غُشِيَتْ تُومِي بِسِرِّ شَهِيدِ
أَضَاءَ سَنَاهَا ٱلشَّرْقَ وَٱلْغَرْبَ فَٱنْمَحَىٰ ... بِهَا كُلُّ ظِلٍّ بِٱلضِّيَا ٱلتَّوْحِيدِ
فَلاَ شَرْقَ بَعْدَ ظُهُورِ نُورِ مِثَالِهَا ... وَلاَ غَرْبَ آيَ ٱلذِّكرِ قَوْلَ حَمِيدِ

مَحَا نُورُهَا ٱلأَفْيَاءَ وَهْـيَ هِـيَ ٱلَّتِـي ... أَضَاءَتْ بِمَعْنَىٰ مُبْـدِئِي وَمُعِيـدِي
لَهَا ٱلْبَدْءُ أَزَلاً، ﴿كُنْ﴾ تُشِـيرُ لِقَـدْرِهَا ... لَهَا ٱلْخَتْمُ ذُقْ مِنْ حَوْضِهَا ٱلْمَوْرُودِ
لَهَا ٱلْبَدْءُ ﴿كُنْ﴾ سِـرُّ ٱلإِرَادَةِ نَشْـأَتِي ... لِـ ﴿كُنْ﴾ فِي ﴿كُنْ﴾ ٱلْمَعْـهُـودِ
أُغَنِّي وَفِـي حَـالِ ٱلأَغَـانِي إِشَـارَةٌ ... لَقَدْ خُفِيَتْ عَنْ ذَوْقِ كُـلِّ فَرِيـدِ
﴿كُنْ﴾ فَكَانَتْ مِنْ ﴿كُنْ﴾ فَكَانَ وَلَاءً ... أَنَا ﴿كُنْ﴾ مِنْ ﴿كُنْ﴾ ثَمَّ عُهُودِي
أُشَـاهِدُ بَـدْئِي لاَبِوَجْـدٍ وَإِنَّمَـا ... بِعَيْنٍ رَأَتْ بِضِـيَاءِ سِـرِّ وُجُـودِي
وَلاَ بَدْءَ فِي حَـالِ ٱلتَّأَلُّـهِ يَبْـدُو لِـي ... لأَنَّ وُجُودِي قَدْ فَنَىٰ لِي بِتَفْرِيـدِي
تَفَرَّدْتُ فِي أُفْـقِ ٱلْبَيَـانِ وَصَـحَّ لِـي ... شُهُودُ ٱلْبَقَا بَعْـدَ ٱلْفَنَـا ٱلتَّوْحِيـدِ
أَفِي حُظْوَةِ ٱلتَّقْرِيبِ وَٱلْوَجْـهُ وِجْهَتِـي ... أَرَى ٱلْبَدْءَ يَلْوِينِي إِلَـى ٱلتَّرْدِيـدِ؟!
فَحَاشَا وَقَدْ صَـحَّ ٱتِّحَـادِي بِوَاحِـدٍ ... مَحَا نُورُهُ ظِلِّـي مَحَـا تَعْدِيـدِي
وَلِي ظَاهِرٌ قَـدْ لاَحَ لِلـرُّوحِ مُجْمَـلاً ... وَلِي بَاطِنٌ يَخْفَـىٰ عَـنِ ٱلْمَبْعُـودِ
تَغَنَّيْـتُ لاَ لِتَوَاجُـدٍ مِـنْ شُـهُودِهِ ... وَلَيْسَ لِوَجْدٍ بَـلْ لِعَـيْنِ وُجُـودِي
نَعَمْ صَارَ سَمْعِي بَعْـدَ إِثْبَـاتِ نِسْـبَتِي ... نُظِمْـتُ بِعِقْـدِ أَحِبَّـةٍ وَعَبِيـدِ
تَغَنَّيْتُ تَحْنَانًا إِلَى ٱلْبَدْءِ ﴿كُـنْ﴾ عَسَـىٰ ... أَرَانِي مُهَنَّـى مِـنْ عَطَـاءِ مَجِيـدِ
أَفُـوزُ بِحُسْـنِ ٱلسَّـابِقِيَّةِ وَٱلرِّضَـا ... مَعَ ٱلْمُصْطَفَىٰ فِي نَظْمِ عِقْدِ جُدُودِي
صَلاَةً عَلَـى ٱلشَّـمْسِ ٱلْمُضِـيئَةِ أَوَّلاً ... إِمَامِ ٱلْهُدَى ٱلْمُخْتَارِ بَلْ مَقْصُـودِي

الباب الثانى

نطق الآثار بما فيها من درر الأسرار

الفصل الأول: انبلاج الآيات وظهور التجليات

السائحون

قال ﴿ص وآله﴾ (سَافِرُوا تَصِحُّوا وَٱغْزُوا تَسْتَغْنُوا) [رواه أحمد فى الجزء الثانى صفحة: ٣٨٠]. هذا حديث رسول الله ﴿ص وآله﴾ ، والسائحون أنواع: سائح للنظر فى الكائنات والاعتبار، وسائح فى طلب الصحة، وسائح لتحصيل العلم والبحث عن المرشد الدال على الله، وسائح ليدل الناس على الله ويبين لهم سبله، وقد تكون السياحة لأغراض أخرى.

سِيَاحَةُ ٱلْعَقْلِ فِي ٱلآيَاتِ لِلْجَذْبِ ... سِيَاحَةُ ٱلرُّوحِ فِي ٱلأَعْلَيْنَ لِلْقُرْبِ

مَا فَوْقَ أَعْلَيْنَ رُوحِي فِي مُؤَانَسَةٍ ... يُجْلَىٰ لَهَا ٱلنُّورُ مِنْ وَصْفٍ وَمِنْ غَيْبِ

يَارُوحُ عَقْلِيَ مِنْ بَدْءِ ٱلسِّيَاحَةِ فِي ... عَظِيمِ حَيْرَتِهِ مِمَّا أَرَىٰ صَوْبِي

ٱلْعَقْلُ لِلْكَوْنِ لِلآيَاتِ يَشْهَدُهَا ... وَٱلرُّوحُ لِلآيِ لِلأَوْصَافِ لِلْحُبِّ

مِنْ بَعْدِ هٰذَا فَسَبْحُ ٱلنَّفْخَةِ ٱلْكُبْرَىٰ ... فِي نُورِ مُقْتَدِرٍ فِي حُظْوَةِ ٱلرَّبِّ

سَبَحْتُ فِي غَيْهَبِ ٱلأَسْمَاءِ مُجْتَدِيًا ... شُهُودَ مَا فِيَّ مِنْ وَصْفٍ بِلاَ حَجْبِ

جِسْمِي سِيَاحَتُهُ تَفْصِيلُ بُغْيَتِهِ ... كَشْفُ ٱلْحَقَائِقِ مِنْ عَالٍ وَمِنْ تُرْبِ

حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ ٱلْبَيْتُ ٱلْمُعَمَّرُ بِٱلْـ ... ـغَيْبِ ٱلْعَلِيِّ بِحَوْضِ ٱلطُّهْرِ وَٱلشُّرْبِ

يَانَفْخَةَ ٱلْقُدْسِ فِرِّي وَٱسْبَحِي حَتَّىٰ ... تُشَاهِدِي هَيْكَلِي رَقَّ ٱلْبَهَا يُنْبِي

يَاهَيْكَلِي أَنْتَ مِعْرَاجٌ إِذَا سَاحَتْ ... رُوحِي بِعَالَمِ أَعْلَىٰ فِي صَفَا تَوْبِي

بَلْ أَنْتَ رَفْرَفُهَا إِنْ نَفْخَتِي سَبَحَتْ ... فِي نُورِ أَسْمَائِهِ مِنْ غَيْرِ مَا شَوْبِ

وَأَنْـــتَ رَقٌّ لآيَـــاتٍ تَـــدُلُّ عَلَـــىٰ ... أَسْرَارِ تَوْحِيدِهِ فِي حَالَـــةِ ٱلْقُـــرْبِ
وَأَنْتَ صُـــورَةُ رَحْمَـــانٍ تُمَثِّـــلُ مَـــا ... يُولِيهِ جَلَّ مِنَ ٱلإِحْسَانِ مِـــنْ رَبِّـــي
جَمَعْتَ يَاهَيْكَلِي كُلَّ ٱلْحَقَـــائِقِ مِـــنْ ... كُلِّ ٱلْفَضَائِلِ مِنْ جَذْبٍ وَمِنْ ذَنْبِ
فِيكَ ٱلْمَلاَئِكُ فِيكَ ٱلْجَهْرُ وَٱلأَخْفَـــىٰ ... فِيكَ ٱلْبَهَائِمُ مِنْ شَرْقٍ وَمِنْ غَـــرْبِ
فِيكَ ٱلشَّيَاطِينُ فِيكَ ٱلآيَـــةُ ٱلْكُبْـــرَىٰ ... بَلْ فِيكَ نَفْخَتُهُ مِنْ عَـــالَمِ ٱلْغَيْـــبِ
تُســـيءُ يَغْفِـــرُ أَوْزَارًا تُقَارِفُهَـــا ... لَيْلاً نَهَـــارًا يَمُـــنُّ ٱللَّـــهُ بِـــٱلتَّوْبِ
مَوْلاَيَ بَدِّلْ ذُنُوبَ ٱلْعَبْـــدِ بِٱلْحُسْـــنَىٰ ... حَتَّىٰ أَرَىٰ نُورَ مَجْلَىٰ خَالِقِي صَوْبِي
أَقِـــمْ عُبَيْـــدَكَ مَحْبُوبًـــا وَمُتَّبِعًـــا ... لِسَيِّدِ ٱلأَنْبِيَا فِي حُظْـــوَةِ ٱلصَّـــحْبِ
سَخِّرْ لِيَ ٱلسُّـــفْلَ وَٱلْعَـــالِينَ أَيِّـــدْنِي ... بِالرُّوحِ وَٱمْنَحْنِي ٱلرِّضْوَانَ يَاحَسْبِي
أَكْـــرِمْ بَنِـــيِّ وَأَحْبَـــابِي وَجَمِّلْنَـــا ... بِنُورِ عَبْدِيَّةٍ فِي صَـــوْلَةِ ٱلْجَـــذْبِ
وَٱفْتَحْ كُنُوزَ ٱلْعَطَايَـــا سَـــيِّدِي هَبْنَـــا ... مِنْكَ ٱلإِنَابَةَ طَهِّرْنَـــا مِـــنَ ٱلْغَيْـــبِ
مَـــوْلاَيَ آنِسْـــنَا بِٱلْكَشْـــفِ فَرِّحْنَـــا ... بِرَحْمَةِ ٱللَّهِ بِـــٱلأَنْوَارِ فِـــي قَلْبِـــي

نعماك تمنحها من شئت بالحسنى

مراتب المظاهر الربانية والتجليات الإلهية

الآيات، والمكونات، والتجليات، والأسماء، والصفات، ومجلى الذات، وطمس الطمس، وعمأ العمأ، وغيب الغيب، ومحق المحق، وخفا الخفا.

هَلِّلُوا أَوْهَيْنِمُوا كَشْفًا عِيَانْ ... فَوْقَ بَحْرِ ٱلرُّومِ آيَاتٌ حِسَانْ

وَٱحْضُرُوا وَٱسْتَحْضِرُوا سِرَّ ٱلظُّهُورْ ... قَدْ تَجَلَّى ٱلْحَقُّ يُولِينَا ٱلْبَيَانْ

أَسْفَرَ ٱلْفَجْرُ أَرَانَا فِيهِ مَا ... قَدْ يُرَتَّلُ مِنْ مَعَانٍ فِي ٱلْقُرَآنْ

رَتَّلَ ٱلْبَحْرُ لَنَا آيًا كَذَا ... رَتَّلَ ٱلْبَرُّ بِلَحْنٍ لاَ لِسَانْ

يَاجَمَالاً لاَحَ فِي ٱلْبَحْرِ وَفِي ... تِلْكُمُو ٱلصَّحْرَاءِ صَارَتْ لِي دِنَانْ

كُلُّ شَيْءٍ سَبَّحَ ٱللَّهَ أَرَىٰ ... فِي خِضَمِّ ٱلْبَحْرِ أَسْرَارَ ٱلْمَعَانْ

ٱسْمَعِي ٱلتَّسْبِيحَ يَارُوحِي ٱشْهَدِي ... عَيْنَ رُوحِي آيَ رَبِّكِ فِي ٱلْكِيَانْ

هَلْ أَنَا فِي ٱلْعَالَمِ ٱلأَعْلَىٰ أَرَىٰ ... غَيْبَ مَجْلاَهُ يَلُوحُ لَدَى ٱلتَّدَانْ؟!

أَمْ أَرَانِي فِي ٱلْبُرُّسِ حَيْطَتِي ... ذَٰلِكَ ٱلْبَحْرُ أَرَىٰ فِيهِ ٱلْجُمَانْ؟!

قَدْ يَرَى ٱلْبَحْرَ ٱلْفَتَىٰ فِي صَفْوِهِ ... حَيْثُ فِيهِ ٱلآيُ تُنْبِي بِٱلْحَنَانْ

وَيْ أَمَاءٌ أَنْتَ؟! أَمْ لَوْحٌ بِهِ ... سَطَّرَ ٱلرَّحْمَٰنُ أَسْرَارًا تُصَانْ؟!

قَدْ يَرَاكَ ٱلْغِرُّ مَاءً لاَ يَرَىٰ ... مَا تَجَلَّىٰ مِنْ عَطَايَا مِنْ جِنَانْ

أَسْفِرِي يَاشَمْسَ أَوَّلِ أَشْرِقِي ... إِنَّ قَلْبِي فِي شُهُودٍ فِي أَمَانْ

كُلَّ أَنْفَاسِي أَرَى ٱلْوَجْهَ ٱلْعَلِي ... ظَاهِرًا فِي كُلِّ عَالٍ كُلِّ دَانْ

أَبْدَعَ ٱلأَكْوَانَ أَجْلَىٰ آيَهُ ... لِلْفَتَىٰ يُدْعَىٰ بِـ﴿كُنْ﴾ جَذْبًا لِـ﴿كَانْ﴾

يَاغَمَامُ وَيَانَسِيمُ وَيَا ... ثَرَىٰ كُلُّ مَخْلُوقٍ بِهَا فَضْلاً يُعَانْ

غَيْرَ أَنَّ ٱلآيَ لاَيَشْهَدُهَا ... غَيْرُ مَحْبُوبٍ وَعَشَّاقٍ وَفَانْ

فَوْقَ تِلْكَ ٱلآيِ غَيْبٌ غَامِضٌ ... فَوْقَهُ ٱلأَسْمَاءُ لاَحَتْ لِي عِيَانْ

فَوْقَهَا ٱلْغَـــيْبُ ٱلْمَصُـــونُ مُـــنَزَّهٌ فَوْقَهُ ٱلْمَجْلَـــىٰ تَعَالَـــتْ عَـــنْ بَيَـــانْ
حَيْثُ طَمْسُ ٱلطَّمْسِ فِي عَمَـــإِ ٱلْعَمَـــا لاَ يُبَـــيَّنُ لاَ يُشَـــاهَدُ فِـــي ٱلْجِنَـــانْ

الفصل الثانى:

ظهور مجلى الذات

الظاهر

أظهر المظاهر ليظهر بجماله وجلاله، وأخفى جماله وجلاله ببهائه وضيائه، وستر بهاءه وضياءه بكماله، وغيب كماله بأحدية ذاته، فلا ظهور للنور والبهاء، ولا بيان للكمال، ولا إشارة عند مجلى الذات، وكان ولا شيء قبله، وهو على ما عليه كان، فمن جذبته الآيات فى الكائنات ثبتت له الهداية، ومن جذبه الجمال والجلال فى الآيات صحت له العناية، ومن اختطفه البهاء والنور زج به فى الغيب المصون، ومن اصطنعه لنفسه فى مقام العبودة لا تعلم نفس ما أخفى له، وفوق ذلك عما العما، فأمسك عن العبارة، فلا تباح لك الإشارة ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٦٣). للآيات نشوة تفقد الحس مقتضياته، وللتجليات صولة تدك بها الأطواد، وتصعق بها الأرواح، وهذا فى مقام الجمال والجلال، فإذا ارتقى إلى البهاء والضياء، اختطفته العناية فرمت به فى بادية الإلحاد، فحار ودار، ونسى الآثار، ونسى الديار ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (الشورى: ٥٣).

المجذوب من سترت الآيات عن حسه الكائنات، والمختطف من أخفت التجليات عن قلبه الآيات، والمصطنع من جذبته سواطع أنوار الجلال والجمال، حتى يتفجر له فجر الحقائق فى ظلمة ليل الحيرة فيقول: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٦). لديها ينظر ربه بالعين من غير بين، والمصطفى غيب عن الغيب الذى وصلت إليه نفس المصطفى، وهو الذى بلغ مقام أن أقسم الله به بقوله:

﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ (الحجر: ٧٢). وهو سدرة منتهى علوم الخلائق، إليه يصل كل مقرب، ومنه يستمد كل مرسل، وهو البرزخ بين الحق والخلق، قال سبحانه وتعالى:﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (النجم: ١٧). وإنما هو شميم من شذا عبير نسمات روض القرب الاجتبائى، كشف الستار عن الروح الكاملة، فأشرق عليها النور المتشعشع من الروح الكلية، ففهمت منه بقدرها ما بينته بقدر السامعين ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥).

الظاهر والظهور

بين الظاهر والظهور كما بين الدنيا والآخرة، والظهور لمن تركت نفسهم فى الدنيا، والظاهر لمن سبقت لهم الحسنى فى الآخرة، ومن لم يظهر له الظهور فيجذبه إلى ما يحبه الظاهر، كان إلى الوعيد أقرب، ومن أين له من ذلك المهرب؟! إنما يحجب عنك الظاهر ما دمت فى المظهر، ويلوح لك الظهور وأنت فى السور؛ لتجمع بين الضدين؛ ولتنكشف لك أنوار الحضرتين بلا حجب ولا بين؛ فتفر منك ومن الكونين إلى القريب الظاهر، ولا أثر بعد عين الاقتراب بك فى مقام التوبة، والتقريب به فى حال الرغبة.

الظهور والمظهر

إنما يعرف الظهور بضعف المظهر، وإنما يعرف الظاهر إذا علت حكمة الظهور، والحيرة مفتاح المعرفة، فظهور المظهر: خفاء الظهور، وبطون الظاهر، وهو الأول والآخر، وبين المظهر والظهور برزخ السلب والإيجاب، ومتى يظهر اللباب والمحيط به حجاب؟! وإنما هو قبس من وميض بروق الشروق، ولمحة التفات إلى ضوء الإشراق، وتنزه فى قدس مجد وعظمة الخلاق، والشوق إليه قاهر، وحجبه النور، لو

رفع حجاب منها لأخفى الظـــلال، وأخـــرس ألســـنة الســـؤال قـــال تعـــالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٧).

الفصل الثالث:

مقامات العارفين

قال ﴿ص وآله﴾ (ثَلاَثَةٌ يُذْهِبْنَ ٱلْحَزَنْ: ٱلْخُضْرَةُ وَٱلْمَاءُ وَٱلْوَجْهُ ٱلْحَسَنُ)[1].

فالخضرة: هى الحياة المشـــهودة فى الكون للعارف ذوقًا وهى فى كل شىء.

والمـــاء: يراد به من التجليات لأسماء الله تعالى وصفـــاته، ولـــذلك قـــال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

والوجه الحسن: هو وجه الرب جل جلاله لقوله تعـــالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥). لأن المقـــامات ثلاثـــة للعارفين:إســـلام، وإيمـــان، وإحسان.

- ففى الإسلام: مشهد الكون.
- وفى الإيمان: مشهد وحدة المكون.
- وفى الإحسان: مشهد وجـــه المحســـن الـــرب الجليـــل، لقولـــه تعـــالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٧).

ظُهُـــورٌ فِـــي ٱلْمَظَـــاهِرِ لِلْعُقُـــولِ وَغَيْبٌ فِي ٱلظُّهُورِ بِـــهِ وُصُـــولِي
أَرَى ٱلْغَيْبَ ٱلْمَصُـــونَ يَلُـــوحُ صَـــوْبِي إِذَا جُمِّلْـــتُ فَضْـــلاً بِـــٱلْقَبُولِ

(١)[رواه الحاكم، والديلمى عن ابن عمر مرفوعاً، ورورياه عن القاضى أبى البحترى، ورواه أبو نعيم فى الطب عن السيدة عائشة رضى الله عنها مرفوعاً، ورواه أيضًا عن ابن عباس رضى الله عنهما، وأيضاً عـــن بريـــدة مرفوعًا، ورواه القضاعى عن جابر ﷺ مرفوعاً].

بِهِ أُنْسِي لَدَىٰ صَفْوِي وَقُرْبِي ... وَفِيهِ قَدْ أُنَعَّمُ بِٱلْمُثُولِ

وَفِي حَالِ ٱلْمُثُولِ يُضِيءُ وَجْهٌ ... عَلِيٌّ قَدْ تَنَزَّهَ عَنْ مَثِيلِ

أَرَىٰ فِي ٱلْمَاءِ سِرًّا فَوْقَ عَقْلِي ... يُسَبِّحُ مَنْ تَعَالَىٰ عَنْ حُلُولِ

وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى ٱلْعَفْوَ عَنِّي ... أَتُوبُ إِلَى ٱلْغَفُورِ إِلَى ٱلْجَمِيلِ

وَأَرْجُو مِنْهُ رِضْوَانًا وَفَضْلاً ... شِفًا خَيْرَ ٱلإِقَامَةِ وَٱلرَّحِيلِ

وَإِحْسَانًا يَمُنُّ بِهِ تَعَالَىٰ ... يُنِيلُ ٱلْعِزَّ لِلْعَبْدِ ٱلذَّلِيلِ

وَخَيْرًا لِي وَلِلأَوْلاَدِ يُولَىٰ ... وَلِلإِخْوَانِ يُمْنَحُ لِلْقَبُولِ

وَسِيلَتُنَا إِلَى ٱلْمُعْطِي تَعَالَىٰ ... شَفِيعُ ٱلْمُذْنبِينَ لَدَى ٱلْمُحُولِ

أَبُو ٱلزَّهْرَاءِ وَٱلْغُصْنُ ٱلْمُرَجَّىٰ ... سَأَلْتُ ٱللَّهَ بِٱلْغُصْنِ ٱلرَّسُولِ

تَلَقَّى ٱلْغَيْبَ عَنْ مَوْلاَهُ فَضْلاً

الإنسان

صورة الرحمن:

قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠).

الإنسان هو العالم الأكبر، فظاهر القلب عرش الرحمن، وباطن القلب بيته المعمور، فإذا عمره سبحانه بشهود معانى صفاته فيه، كان سدرة المثل الأعلى وزجاجة المثل (بفتح الثاء) العلى، وكان الهيكل صورة الرحمن، ويكون الكون كله صورة هذا الإنسان الكامل، محل استجلاء معانى الصفات، فظهر به الجمال والجلال، ظهور الحقيقة لا المثال، وتشهد ذلك أرواح الحافين بالعرش، ونفوس المهيمين فى العرش، حتى يعم كل تلك الأرجاء نور الشمس، فيكون نورا على نور.. فى الغيبة والحضور.. من هذا القلب المعمور تعرج أسرار البطون إلى السقف المرفوع (رأس الهيكل الكامل)، وتتشعشع تلك الأنوار على الرق المنشور (ظاهر الهيكل)، متفجرة ينابيعها من البحر المسجور (سويداء القلب)، فتسخر العوالم علوا أو سفلا للسدرة المغشاة بغيوب التجلى، وتسارع أرواح عالين وأشباح أهل اليمين لخدمة هذا المظهر، من حيث الظهور فيه لأن الله مواليه. وهذا سر ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠).

سر النور المجعول

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ (النور: ٤٠).

الإنسان صورة من الصور المجملة بالهبات المنسوجة فى أكمل مراد للذات، بل صورة مؤهل لأن ينفخ فيه روح قدسية تجعل له الكون أفقا منيرا بالآيات ظاهرا بالجمالات، بل مخلوق خلق ليكون جمالا للعوالم، وكمالا للمظاهر وخليفة عن

الظاهر منح من الاستعداد والقبول ما يجعله أهلا للوصول، وهو هو الطينة اللازبة، والمنى الذى يمنى، والحيوان الأعجم والشيطان الرجيم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١١٨-١١٩).

خصوصيات من لدن، تخصيص الإرادة وإطلاق العلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١).

شئون اقتضتها الكمالات الإلهية، وأسرار أرادتها الكمالات الذاتية، ولكن هذا السر غامض عن الدعاة إلى الله تعالى، لعلمهم أن كل إنسان أهل لأن يحظى بمنازل القرب ويفوز بشراب الحب، فهم يعممون الدعوة بالأمر الربانى ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال: ٣٧)، فأهل الاختصاص يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنات عرضها السموات والأرض، وهم السابقون بحكم السابقية الذين سمعوا المنادى للإيمان فى قلوبهم فآمنت قلوبهم ونطقت ألسنتهم، ولم يكن ذلك إلا بما جعله الله لهم من النور الذى به شهدوا اليقين الحق بالمؤمن به، وهم الذين يكون الله سبحانه ورسوله ﴿**ص وآله**﴾ أحب إليهم مما سواهما من النفس والنفيس الدنيوى والأخروى، وهم أهل المكاشفات والإشراف على الملأ الأعلى بسر هذا النور المجعول لهم، وهم طبقات فمنهم: أهل حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين، وما دون ذلك فليسوا برجال. ومن شم طيب علم اليقين أنس بأحوال كل رتبة وسلم كل فريق، وأهل الإنكار هم أهل الريب الواقفين عند حظوظهم.

ولا ينال مقام إلا بفضل الله، ومن وفق للتسليم ولم يشغله حظ ولا هوى ولا شح فاز بمقام المقربين بحسن الاتباع لسيد المرسلين.

سِرُّ ٱلْخِلاَفَةِ رَمْزُ كَنْزِ عُبُودَتِي ... لَمْ يُدْرَكَنْ إِلاَّ لَدَىٰ عِنْدِيَّتِي
غَيْبٌ عَنِ ٱلإِدْرَاكِ سِرٌّ غَامِضٌ ... وَهْوَ ٱلْمَقَامُ لَدَىٰ ضِيَا أَحَدِيَّةِ
سِرُّ ٱلْخِلاَفَةِ رَمْزُ كَنْزٍ تَنَزُّلِي ... مِنْ فَوْقِ عَالٍ مِنْ صَفَا مَلَكِيَّتِي
سِرُّ ٱلْوُجُودِ جَمِيعِهِ بَدْءًا وَلَنْ ... تُجْلَىٰ مَعَانِيهِ لأَهْلِ مَعِيَّتِي
وَٱلْفَرْدُ فِي نُورِ ٱلْخِلاَفَةِ كَوْكَبٌ ... دُرِّيُّ مَعْنَى ٱلْوَصْفِ يَغْشَىٰ سِدْرَتِي
تَاجُ ٱلْخِلاَفَةِ بِٱجْتِلاَ ٱلأَوْصَافِ فِي ... مِرْآةِ فَرْدٍ فِي ضِيَا فَرْدِيَّةِ
أَسْرَارُ غَيْبٍ مِنْ قَدِيرٍ مُنْعِمٍ ... بَلْ نُورُ وَجْهٍ لاَحَ لِي فِي وِجْهَتِي
بَلْ نُورُ سُبُحَاتٍ تُشِيرُ إِلَى ٱلْبَهَا ... بَلْ بَرْزَخُ ٱسْتِجْلاَءِ غَيْبِ هُوِيَّتِي
فِيهِ أَنَا تُنْبِي بِمَا يُجْلَىٰ لَهَا ... مِنْ كَثْرَةٍ فِي وَحْدَةِ
تُمْحَىٰ بِهَا ٱلأَعْدَادُ فِي حَالِ ٱلصَّفَا ... فِيهَا ٱلْوَفَاءُ لِمَنْ دُعِي بِخَلِيفَتِي
فِيهَا ٱلْوُجُودُ ٱلْحَقُّ سِرُّ ٱلإِجْتِلاَ ... بَلْ وَٱلشُّهُودُ ٱلْحَقُّ مَحْوُ ٱلْكَثْرَةِ
تَفْنَىٰ أَنَا لَمَّا أَنَا مِنْهُ بِهِ ... تُجْلَىٰ لِعَيْنِ سَرِيرَتِي
عَيْنٌ لَقَدْ مَحَتِ ٱلظِّلاَلَ بِنُورِهَا ... حَتَّىٰ تَجَلَّتْ فِي مَعَالِمِ صُورَتِي
لِيَ أَشْرَقَتْ وَأَنَا بِهَا فِيهَا لَهَا ... حَقَّقْتُ ثَمَّةَ غَيْبَتِي
مَعْنَى ٱلظُّهُورِ تَجَمُّلٌ فِي مَظْهَرٍ ... وَهْوَ ٱلْخِلاَفَةُ ذُقْ طَهُورَ ٱلنَّشْوَةِ
سُكْرِي بِخَمْرٍ مِنْهُ فِيَّ أُبِيحَ لِي ... قَبْلاً سَقَاهُ ٱللَّهُ حَالَ مَحَبَّتِي
فِي كُلِّ أَطْوَارِي ظُهُورِيَ مَظْهَرٌ ... لِلْعَالَمِينَ وَلِي ضِيَا عِنْدِيَّتِي
مَجْلَىٰ كَمَالِ ٱلذَّاتِ كَعْبَةُ وِجْهَتِي ... وَٱلْمَحْوُ بَعْدَ ٱلْقُرْبِ ثَمَّةَ بُغْيَتِي
لِيَ أَشْرَقَتْ أَزَلاً وَلاَحَتْ خَاتَمًا ... صِرْتُ ٱلْمِثَالَ مُجَمَّلاً بِحَقِيقَتِي
فِيهِ أَرَانِي بَلْ وَفِيَّ يُرَىٰ لِمَنْ ... مِنْهُ بِهِ لِيَ فِي عَلِيِّ ٱلرُّتْبَةِ

لَمْ أُبْرَزَنْ كَشْفًا وَصَوْبِيَ وَجْهُهُ ... أَخْفَىٰ رُسُومِي بَعْدَ حِفْظِ ٱلرُّتْبَةِ

أَأُلُوحُ فِيَّ وَنُورُهُ لِيَ مُشْرِقٌ ... وَهُوَ ٱلْجَلِيُّ بَدَا لِعَيْنِ بَصِيرَتِي؟!

صِرْتُ ٱلْمُرَادَ فَلاَ أُرِيدُ وَلاَ أَنَا ... وَهُوَ ٱلْمُرِيدُ هُوَ ٱلْمُجِيبُ لِدَعْوَتِي

غَيْبٌ إِشَارَاتِي تَلُوحُ لِمُفْرَدٍ ... ذَاقَ ٱلطُّهُورَ بِحَضْرَةٍ صَمَدِيَّةِ

قَدْ نَاوَلَتْهُ يَدُ ٱلْعِنَايَةِ خَمْرَةً ... قُدْسِيَّةً مِنْ بَدْءِ أَوَّلِ نَشْأَتِي

القلوب والأرواح:

للقلوب آذان، ولكنها لا تسمع إلا من ألسنة القلوب، ولها أعين، ولكنها لا تبصر إلا من ظهور الغيوب، وللأرواح عيون ولكنها لا تبصر إلا بالبصير إذا سعدت بموالاة العليم الخبير. ومن أبصر بعيون القلوب شهد الآيات، ومن أبصر بعيون الأرواح شهد التجليات، ومن كان الحق سمعه وبصره، شهد ما لا يبين بعبارة ولا بإشارة، وهنا تسجد الأرواح فكيف يكون حال الأشباح؟! سواطع أنوار تخطف الأبصار، وتكشف البصائر حتى يسمع بالسميع ويبصر بالبصير.

وإنما يرى الحق الحق إذا نفذ من محيط الخلق﴿ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج: ٢٠-٢٢).

نور القلب:

إذا أشرق القلب بما يجعله الله فيه من النور، اتصل نور القلب بنور مقلب القلوب، فأشهده الغيوب: ففكت له رموز تلك الكنوز، فاطمأن القلب بذكر الله وفر إليه سبحانه مما سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ النور: ٤٠).

النور المشرق على القلوب إما نور بيان للحقائق بلسان العارف، أو نور تبيان للآيات فى المكونات مما يعجز عنه الواصف، أو نور عيان للغيب المصون مما يجذب الأرواح إلى حضرة الفتاح حتى يكون العبد كله نورا: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥).

ومتى صار العبد نورا- والنور إنما يقصد منه البيان- كان العبد كله بيانا، قوله وحاله وعمله. وإنما تشهد هذه الأنوار عيون النفوس إذا زكت، وأبصار العقول إذا سلمت من الحظ والهوى، وأحداق الحس إذا تطهرت الجوارح.

عمارة القلوب وعمارة الجيوب:

بين عمارة القلوب وعمارة الجيوب بون شاسع، بعمارة القلوب تشرق أنوار الغيوب، فتستبين حكمة الحكيم، ومراد المريد العليم؛ وبعمارة الجيوب تظهر الأحكام، ويكثر اللغوب، ويقل الأدب، ويكثر الطلب؛ وإنما يصح الوصال بالأدب ولو مع قليل الطلب، وإنما تعمر القلوب بالعرفان، والمعرفة فوق العلم؛ وعمارة الجيوب تعلم الأحكام، وشتان بين من علم حكمة حكم واحد فتفقهه، وبين من علم جميع الأحكام وحاله لم يصدقها.

صفاء القلب

قال ﴿ﷺ وآله﴾: (دَعْ مَا يُرِيبَكَ إِلَىٰ مَا لاَ يُرِيبَكَ) [1]

إذا صفا القلب من ظلمات الحظوظ والأهواء، وتطهر من داعيات النسبة الإبليسية بالوقوف عند آداب الشرع الشريف، والرياضة التى رغب فيها خلقا

(١) (رواه البخارى فى كتاب البيوع الباب ٣، والترمذى فى كتاب القيامة الباب ٦٠، وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٥٣، وأبو داود والدرامى والنسائى).

وعملا وعلما، يتنور قلبه بنور اليقين الحق ويستبين له منار الهدى فى كل شئ، حتى لو خفى حكم شرعى فى عمل ما من الأعمال، وهم بعمله يظهر له فيه نور يطمئن به قلبه وينشرح له صدره، فيقدم على عمله مطمئنا، أو يترعج منه قلبه ويرتاب من عمله ولا ينشط له، وذلك لأن هذا القلب يتلقى من الحق فينشرح لكل حق وينقبض لكل باطل، وهو القلب الذى أمرنا رسول الله ﴿ص وآله﴾ أن نستفتيه عند حصول الشبهة فى عمل ما، وفيه النور الذى أخبر الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ (النور: ٤٠). ولا يفاض هذا النور إلا بمحض الفضل الإلهى على قلب وفق للمحافظة على الشرع وأعانه الله تعالى على القيام بفضائل الأعمال ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ (الأنعام: ٨٨)، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ (الأعراف: ١٧٨). نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنحنا نوراً نسير به فى الناس، وأن يحفظنا من الميل عن سنة المصطفى ﴿ص وآله﴾ ، آمين.

هِيَ ٱلْقُلُوبُ فَزَيِّنُوهَا بِٱلتُّقَى ... تَفِرُّ لِلَّهِ فِي قَوْلٍ وَفِي حَالِ

هِيَ ٱلْقُلُوبُ صَفَتْ لِلَّهِ فَٱتَّصَلَتْ ... رَأَتْ جَمَالَ جَمِيلٍ مُنْعِمٍ عَالِ

وَٱلْجِسْمُ مِنْ غَيْرِ قَلْبٍ كَٱلْهَيِمَةِ بَلْ ... أَضَلُّ مِنْهَا وَفِي صَدٍّ وَإِضْلَالِ

ٱلْقَلْبُ بَيْتٌ لِمَوْلَاهُ خَزَائِنُهُ ... فِيهِ ٱلْحَقَائِقُ أَنْوَارٌ لإِيصَالِ

يُجْلَىٰ لَهُ ٱلْغَيْبُ فِي جَهْرٍ وَفِي سِرٍّ ... فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ فِي جَذْبٍ وَإِقْبَالِ

ٱلْقَلْبُ عَرْشُ ٱسْتَوَىٰ ٱلرَّحْمَٰنُ ظَاهِرُهُ ... شَرْعٌ وَبَاطِنُهُ غَيْبٌ بِأَمْثَالِ

فِي ٱلْقَلْبِ نَفْخَتُهُ وَٱلْقَلْبُ صُورَتُهُ ... مُعَمَّرٌ بِٱلْبَهَا فِي كُلِّ أَحْوَالِ

ٱلْقَلْبُ يَشْهَدُ هَٰذَا ٱلْبَحْرَ مَظْهَرَ مَنْ ... أَوْلَاهُ لِلْخَلْقِ فِي حِلٍّ وَتَرْحَالِ

ٱلْبَحْـــرُ سَـــبَّحَ مَـــوْلاَهُ بِأَلْسِـــنَةٍ ... وَٱلرَّمْلُ سَبَّحَهُ بِٱلْحَـــالِ وَٱلْقَـــالِ

هَٰذَا ٱلْغَمَامُ عَطَايَـــا ٱللَّـــهِ سَـــخَّرَهَا ... تُوَلِىٰ لِكُلِّ فَتًـــى بِـــٱلْقَوْلِ سَـــآلِ

فَضْلاً مِنَ ٱللَّهِ فِيهِ ٱلْقُـــوتُ يَمْنَحُـــهُ ... لِلْجَاحِـــدِينَ وَلِلـــدَّانِي وَلِلْعَـــالِي

سُبْحَانَ مُنْشِـــئِهِ سُـــبْحَانَ مُبْدِعِـــهِ ... بِٱلْفَضْلِ يُعْطِيهُمُو خَيْـــرَاتِ آمَـــالِ

يَامَنْ ظَهَرْتَ بِبَحْـــرٍ وَٱلرِّمَـــالِ وَيَـــا ... مَنْ يَمْنَحُ ٱلْخَيْرَ لِلْعَـــافِينَ أَمْثَـــالِي

وَاجِـــهْ بِوَجْهِـــكَ آنِسْـــنَا وَقَرِّبْنَـــا ... حَتَّىٰ نَنَالَ ٱلرِّضَا فِي ظِـــلِّ آصَـــالِ

فِيمَا تُحِـــبُّ أَقِمْنَـــا مُقْـــبِلِينَ عَلَـــىٰ ... حَظِيرَةِ ٱلْقُدْسِ فِي رَوْضَاتِ أَبْـــدَالِ

مِنَ ٱلسِّقَامِ ٱشْفِنَا أَعْطِ ٱلْقَبُـــولَ لَنَـــا ... حَتَّىٰ نَرَى ٱلْمُصْطَفَىٰ فِي نُورِهِ ٱلْعَـــالِي

أَحْيِ بِنَا شَرْعَهُ جَـــدِّدْ بِنَـــا ٱلْمَعْنَـــىٰ ... لِنَشْهَدَ ٱلْغَيْبَ فِي تَفْصِيلِ إِجْمَـــالِ

غذاء الروح

فاقد الأب (الروح)، فهى اليتيمة التى لا أب لها، وإنما نفخت فيك لتنفعك بغذائها، وإنما غذاؤها تفريد الله تعالى بالقصد بعد تحققك بتوحيد الاتحاد، وبعد مطالعة الحد والإيمان بظاهر القرآن وشهود باطنه.

هِيَ ٱلرُّوحُ تُتْحَفُ بِهَا ٱلأَوْصَافُ ... يُفَاضُ عَلَيْهَا ٱلنُّورُ وَٱلأَلْطَافُ

وَهَيْكَلُ ذَاتِي ثَوْبُهَا سَاتِرٌ لَهَا ... وَلَوْحٌ بِهِ قَدْ يَشْهَدُ ٱلْعَرَّافُ

هِيَ لِلرُّوحِ سِرٌّ لِلْغَيْبِ صُورَةُ رَبِّهَا ... وَجِسْمِي هُوَ ٱلْمِعْرَاجُ أَوْ خَلاَّفُ

يُعَجِّلُهَا عَنْ أَنْ تَسُوحَ إِلَى ٱلْهَا ... بِهِ يُمْنَحُ ٱلإِقْبَالَ وَٱلإِشْرَافُ

يَلُوحُ لَهَا مِنْ نَفْخَةِ ٱلْقُدْسِ سَاطِعٌ ... فَتَشْهَدُ غَيْبًا بَيَّنَتْ أَعْرَافُ

هِيَ ٱلرُّوحُ مِصْبَاحٌ وَقَلْبِي زُجَاجَةٌ ... وَهَيْكَلِيَ ٱلْمِشْكَاةُ وَٱلإِسْعَافُ

إِذَا نَوَّرَ ٱلْمِشْكَاةَ فِيَّ زُجَاجَةٌ ... لَدَيْهَا فَخَوْفِي رَهْبَتِي إِنْصَافُ

وَمَا كُنْتُ لَوْلاَ ٱلرُّوحُ إِلاَّ عَصِيرًا ... تُدَارُ لَدَىٰ صَفْوِي عَلَيَّ سُلاَفُ

فَتَسْكَرُ رُوحِي مِنْ مُدَامٍ طَهُورَةٍ ... وَيَعْجِزُ عَنْ دَرْكِ ٱلْحَقِيقَةِ عَرَّافُ

أَنَا مَنْ لَهَا غَيْبٌ غَيْبٌ مُجَمَّلٌ ... جَمَالِيَ نُورُ ٱلْغَيْبِ بَلْ أَوْصَافُ

تُحِبُّ عُبِيَ ٱلأَوْصَافُ لِلْعَتِيقِ ٱلَّذِي ... لَقَدْ فَرَّ لِلْمَحْبُوبِ صَحَّ طَوَافُ

يَقُولُ حَوَالَيَّ كَعْبَةُ ٱلنَّتِ وَحِدًا ... وَكُلٌّ سِوَى ٱلْمَحْبُوبِ ثَمَّ يُعَفُّ

وَلِي فِي ٱلصَّفَا حَلٌّ عَلِيٌّ إِذَا ٱعْتَلَىٰ ... لأَهْلِ ٱلصَّفَا نِيلَتْ بِهِ ٱلأَلْطَافُ

الباب الثالث

شروق عجائب القدرة وغرائب الحكمة

حقيقة السمع والبصر

إنما يوصف بالسمع والبصر والنطق (الحى)، ولا حياة لمن لا يبصر الآيات، ويسمع تسبيح الكائنات، ويتكلم مع سكان السموات. قال تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾ (يونس: ٤٢). وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ ﴾ (الفرقان: ٤٤).

ولكل رتبة من الكائنات حياة بقدر مترلتها: فللنبات حياة، وللحيوانات حياة، وهى بالنسبة لحياة الإنسان الكامل موت.. أعمى من لم يشهد ما فى الآفاق وما فى نفسه وإن أبصر كل شئ، وليس من نظر السموات والأرض بذى نظر، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ (يونس: ١٠١). فإن أجرام السموات والأرض يراها أخس الحيوانات رتبة، وإنما يتميز الإنسان بما يراه فيها من آيات الله وأسرار حكمته.

الأسباب معارج ومدارج

بين الحضرة الكائنة والحضرة الواجبة لا تناسب، والحضرتان متصلتان كمال الاتصال، ومنفصلتان تمام الانفصال.

فلولا الله ما كان كائن.. هذا وجه الاتصال

أما كمال الانفصال فحضرة الرب بجميع أسمائها التفصيلية لها الفوقية المطلقة على حضرة الكون بجميع معانيه الدنية، والانفصال بهذا المعنى هو وصل الاتحاد،

وإلا الفصل بالمعنى السابق هو حق الوصال، وهنا أخفى وأظهر فى قوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ (الكهف: ٢٦). فأخفى الحقيقة فى نفسها، وأظهر التأويل المناسب لقوى العقول والأفهام، حتى ينال كل ذى شأن قسط من هذا الرحيق المختوم، ليس من جمله (بِكُنْ) سمعه وبصره، فسمع به وبصر، ثم أسمع به وأبصر به، كمن جاهد حتى عرف نفسه، ولا كمن جذب حتى وقعت العين على العين، ولا كمن شغلته الجنة ونعيمها وأخافته النار ولهيبها، فكيف بمن عقل؟!.

أَسْمِعْ بِهِ كُنْ لَهُ ٱلْمَسَامِعْ ... أَبْصِرْ بِهِ كُنْ لَهُ ٱللَّوَامِعْ
أَسْمِعَنْ مِنْكَ كُلَّ مَا فِيكَ جَهْرًا ... أَبْصِرَنْ غَيْبَهُ لِكُلِّ ٱلطَّوَالِعْ
كُنْ بِهِ ظَاهِرًا وَفِيهِ بُطُونًا ... مِنْهُ قَدْ كُنْتَ مِنْ إِرَادَةِ نَافِعْ
وَىْ عَجِيبٌ ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾ إِنْ تَدَبَّرْ ... تَ لِفَحْوَى ٱلْخِطَابِ فَٱلْفِقْهُ رَافِعْ
يَرْفَعُ ٱللَّهُ مَنْ يَشَاءُ ٱبْتِدَاءً ... فَٱسْأَلَنْهُ فَٱللَّهُ مُعْطٍ وَاسِعْ

الواردات الروحانية

ورد على الروح وارد الفتوح فأنست وطابت، ولداعيه أجابت، وحنت لذكراه، ولعبير رياه، فذكرها عهد التجريد، بنور التوحيد.

ودعاها لمسراها قائلا:

أَيُّهَا ٱلنُّورُ وَٱلْجَمَالُ ٱلْبَدِيعُ ... وَٱلْجَلِيُّ ٱلْخَفِيُّ بَادٍ مَنِيعُ
أُفْقُ أَعْلَىٰ وَحَضْرَةُ ٱلْقُرْبِ رَوْضٌ ... كُلُّ أَصْلٍ مُجَمَّلٌ وَرَفِيعُ
دَارُ مَجْدٍ تَشْتَهِيهَا كُلُّ رُوحٍ ... وَإِلَيْهَا يَسْعَى ٱلْهُمَامُ ٱلسَّرِيعُ
آيَةُ ٱلْحُسْنِ فِي بَهَاهَا تَجَلَّتْ ... بِجَمَالٍ وَٱلْوَقْتُ فِيهَا رَبِيعُ
أَيُّهَا ٱلرُّوحُ تَأْلَفِينَ رُبُوعًا ... دَارِسَاتٍ تَفْنَىٰ وَهَاذَا شَنِيعُ

فمالت إليه الروح مطمئنة، وهى فى أفق هذا الهيكل لحكمة مستكنة، ورأت مبناه، وفهمت معناه، ولبت نداه، وأجابت قائلة، وكانت كاملة:

أَنَا فِي ٱلأُفْقِ أُفْقِ حَقٍّ مُبِينِ ... مَظْهَرُ ٱلْوَصْفِ فِى ٱلْمَقَامِ ٱلأَمِينِ
أُفْقُ أَعْلَى ٱلَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ ... أُفْقُ آيَاتِهِ لِعَيْنِ ٱلْجَنِينِ
أَنَا فِي وُدَّةٍ مِدَّةٍ قَدْ تَحَلَّتْ ... بِجَمَالِ ٱلصِّفَاتِ بِٱلتَّعْيِينِ
أَيُّهَا ٱلْوَادِيَ ٱلَّذِي قَدْ أَتَانِي ... مِنْ لَدَىٰ رَوْضَةِ ٱلشُّهُودِ ٱلْيَمِينِي
رُتْبَةُ ٱلسَّابِقِينَ أُفْقِي جِهَارًا ... وَمَقَامُ ٱلتَّقْيِيدِ لاَ يُفْنِينِي
أَنَا فِي هَيْكَلِي كَشَمْسٍ أَضَاءَتْ ... فَبَدَا مَظْهَرُ ٱلْعَلِيِّ ٱلْمُعِينِ
أَنَا فِيهِ وَكُلُّنَا بَيْتُ مَجْدٍ ... لِعَلِيٍّ مُعَظَّمٍ وَمَتِينِ
آيُ قُدْسٍ تُتْلَىٰ بِهَيْكَلِ ذَاتِي ... بَعْدَ مَحْوِي بِهِ لَدَىٰ تَمْكِينِي
إِذْ حَبَانِي بِٱلْقُرْبِ مِنْهُ حَبِيبِي ... مَقْعَدُ ٱلصِّدْقِ مَنْزِلِي وَحُصُونِي

طهارة الباطن

قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر: ٤).

طهارتها من حيث السلوك بالإخلاص، والتبرى من الحول والطول والقوة، ومن حيث الحب بالاستغراق فى المحبوب عما سواه، والغيبة به عن كل ما نراه، ومن حيث الجذب، فناء بوجوده، ودوام شهوده بشهوده.

حَنِينُكِ يَارُوحِي إِلَى ٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَىٰ ... سَتَوْفِي فِي تَنْيِيهَ لِلْحُسْنِ يَطَّلِعُ
تَحِنِّينَ مِنْ أَزَلٍ وَلَمْ آكُ عِنْدَهُ ... بِشَيْءٍ وَكَانَتْ آيَةُ ٱلْقُدْسِ قَدْ تُتْلَى
إِلَىٰ مَنْ حَنِينُ ٱلرُّوحِ وَهْيَ بِهِ لَهُ ... وَمِنْ أَزَلٍ قَدْ شَاهَدَتْهُ وَلاَ ظِلاَّ؟!
دَعِينِي فَتَحْنَانِي وَشَوْقِي وَلَوْعَتِي ... إِلَى ٱلْبَدْءِ كَٱلنِّيرَانِ فِيهَا ٱلْفَتَىٰ يُصْلَى

إِذَا كُنْتِ أَنْتِ ٱلرُّوحَ نَفْخَةَ قُدْسِهِ ... تَحِنِّينَ مَا بَالِي عَنِ ٱلْقُرْبِ أَتَسَلَّىٰ

وَشَوْقُكِ شَوْقٌ لاجْتِلاَءِ صِفَاتِهِ ... تَلُوحُ بِمِرْآةٍ أَنَا هِيَ قَدْ تُجْلَىٰ

وَتَوْقِي وَلاَ عَجَبٌ إِلَىٰ حَضْرَةِ ٱلصَّفَا ... وَبَدْئِيَ صَلْصَالٌ أَتُوقُ إِلَى ٱلْمَوْلَىٰ

وَكَيْفَ يَفُوقُ ٱلْكُلُّ لِلْقُرْبِ وَٱلصَّفَا ... وَكَيْفَ ٱلْحَيِي وَٱلْجَمِيلُ قَدْ ٱجْتَلاَّ؟!

يَدُومُ حَنِينِي فِي ٱلْمَرَاتِبِ كُلِّهَا ... وَلاَ صَبْرَ لِي حَتَّىٰ أَرَى ٱلْحَقَّ يَتَجَلَّى

وَهَٰذَا حَنِينِي مَا حَنِينُكِ وَٱلْجَوَىٰ ... وَمِنْهُ لَقَدْ أُنْشِئْتِ وَصْلاً وَلاَ فَصْلاَ

فَكَيْفَ وَمِنْ صَلْصَالِ طِينٍ بِدَايَتِي ... وَقَدْ صَاغَنِي بِيَدَيْهِ مَثَلاً لَهُ أَعْلَىٰ؟!

نَفَثْتُ مِنَ ٱلْمَلَكُوتِ لِلْقُدْسِ وَٱلصَّفَا ... وَلَمْ أَنْفُذَنْ مِنْ مُلْكِهِ وَأَرَى ٱلسُّفْلاَ

تَحِنِّينَ بَعْدَ شُهُودِ وَجْهٍ مُنَزَّهٍ ... وَأَسْكُنُ لِلسُّفْلِ ٱلْمُقَيِّدِ لِي؟! كَلاَّ.

أَعِينِي فَإِنِّي ٱلثَّوْبُ بِٱلصَّفْوِ طَهِّرِي ... وَإِنِّي عَلَيَّ ٱللَّهُ فِي ٱلْبَدْءِ قَدْ صَلَّىٰ

عَلَيَّ لَقَدْ صَلَّىٰ وَصَلَّتْ مَلاَئِكٌ ... فَدُمْ يَاغَرَامِي لَسْتُ بِٱلْخُلْدِ أَتَسَلَّى

تَرَيْنَ جَمَالاً أَشْهِدِينِي جَمَالَهُ ... وَإِلاَّ فَإِنِّي لِلْحَقِيقَةِ أَتَحَلَّىٰ

أَنَا ٱلثَّوْبُ يَلْوُحِي لِبَلٍّ بِهِ ٱنْجَلَتْ ... ﴿وَخَلْكَ خَيْرٌ﴾ آيَةُ ٱلذِّكْرِ قَدْ تُتْلَى

ثِيَابُكِ طَهِّرْ أَمْرُهُ لِمُرَادِهِ ... لِيُسْمِعَنَا ٱلأَمْرَ ٱلْمُقَدَّسَ يَتَجَلَّىٰ

لأَنَّ ثِيَابَ ٱلْفَرْدِ رُوحٌ عَلِيَّةٌ ... ﴿تَقَّىٰ﴾ حَضْرَةَ ٱلْمَوْلَىٰ

وَهَأَنَا ثَوْبٌ لِلتُّقَىٰ لُبْسَةُ ٱلْهُدَىٰ ... وَكَنْزٌ وَأَنْتِ ٱلدُّرُّ لِلْحَقِّ يَتَدَلَّىٰ

تَرَقَّيْتُ فِي كُلِّ ٱلْمَرَاتِبِ مِنَّةً ... مِنَ ٱللَّهِ مَنْ أَعْطَى لِلْجَمَالِ بِهِ فَضْلاَ

وَلِي مَطْلَبٌ مِنْ قُدْرَةِ ٱللَّهِ خَالِقِي ... بِفَضْلٍ وَإِحْسَانٍ مِنَ ٱللَّهِ لِي يُولَىٰ

أَكُونُ بِلاَ كَوْنٍ أَرَى ٱلْوَجْهَ حَيْثُنِي ... ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ وَطَيِّ لِلْمَنَازِلِ لاَ أَعْلَىٰ

وَأُنْظَمُ فِي عِقْدِ ٱلْمَعِيَّةِ رَاقِيًا ... ﴿مَعِيَ﴾ خَيْرَ لِلرُّسْلِ فِي ٱلذِّكْرِ قَدْ تُتْلَى

أَقُومُ بِقَيُّومٍ لَهُ عَامِلاً بِهِ ... وَأَحْيَا بِحَيٍّ وَٱلْعَوَاطِفُ لِي تُجْلَىٰ

إِلَىٰ أَنْ أَرَانِي مُفْرِدًا مُفْرَدًا لَهُ ... وَلاَ هَمَّ لِي إِلاَّهُ وَٱلْوُدُّ لِي وَلَىٰ

وَلِي مَطْلَبٌ يَارُوحُ عَالٍ عَنِ ٱلنُّهَى ... لَدَى ٱلْإِتِّحَادِ ٱلْحَقِّ بِٱلْحَالِ قَدْ يُتْلَى

يُجَدِّدُ أَرْوَاحَ ٱلْمُرَادِينَ لِلْوَفَا ... وَيُحْرِزُ مَنْ فِي ٱلْقُرْبِ لِلْمَقْصَدِ ٱلْعَلَى

عَنِ ٱلرُّوحِ أُخْفِيهِ لِأَنِّي أَصُونُهُ ... عُلُوًّا لِقَدْرِ ٱلْغَيْبِ إِنْ يَتَّضِحْ قَوْلَا

فَعَجَبًا مُنَافَسَتِي فَكَيْفَ تَفُوتُنِي ... وَأَنْتَ مِنَ ٱلْمَعْلُولِ وَٱلرُّوحُ مِنْ أَعْلَى؟!

كَمَالُكَ مَوْقُوفٌ عَلَيَّ لِحِكْمَةٍ ... تُدَقُّ خَفَاءً عَنْ فَتًى لَابَسَ ٱلْعَقْلَا

فَبِي قَدْ تَجَلَّىٰ ظَاهِرًا فِي حَقِيقَتِي ... وَلَمْ تَجِدَ ٱلْأَمْلَاكُ ٱلسَّمَا وَهَجًا لِلْجَهْلَا

وَلَوْلَايَ لَمْ يَظْهَرْ لِرُوحٍ وَلَا نُهًى ... وَلَا أَبْعَدَ ٱلْمَبْعُودَ وَلَا قَرَّبَ ٱلْأَهْلَا

وَفِي قَوْلِهِ ﴿أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ هُدًى ... وَفِي ﴿بِإِذْنِي﴾ ٱلْغَيْبُ لَاحَ لِمَنْ عَلَا

الباب الرابع

معارج أهل القرب

الفصل الأول:

بين البحث والوجود

التفكر

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ١٢-١٣).

وقال ﷺ (تَفَكَّرُوا فِى آلاَءِ ٱللهِ وَلاَ تُفَكِّرُوا فِى ذَاتِ ٱللهِ) [رواه ابن النجار والرافعى عن أبى هريرة ﷺ]، وقال الإمام الحسن البصرى: مازال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت.

التفكر أن يزج بالبصيرة فى روض الآيات لتنفذ من حيطة الكائنات إلى أفق مبين البينات طمعا فى نيل البغية.

والبغية:

أولا: البحث عن عين التوحيد بفتق رتق الكائنات وانبلاج جلى الآيات.

ثانيا: المسارعة فى غرائب بدائع الصنع.

ثالثا: إقبال بالكلية فى كشف أسرار الأعمال والأحوال.

– فأما البغية الأولى: وهى البحث عن عين التوحيد فهى الانغماس فى أوحال التوحيد، واقتحام فدافد الجحود. ولا انتشال من تلك الأحوال ولا نجاة من ظلمات هذا التيه إلا بالاعتصام بالله تعالى، الذى يتفضل سبحانه على السالك بنور الكشف، ويمن عليه بالتمسك بالكتاب والسنة عملا وحالا واعتقادا.

– أما المسارعة فى غرائب بدائع الصنع: فهى الطهور الذى أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ على القلوب ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ﴾ القلوب ﴿بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ ﴾ من البشرية ومقتضياتها ﴿زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ﴾ وهو صورة العلم الذى ينقش على جوهر النفس بعد تزكيتها بالمجاهدة التى هى كتحمل النار ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ ﴾ وهى البغية التى هى الحكمة ﴿أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾(الرعد:١٧) ... إلخ.

ومتى نزل هذا السيل من سماء الفضل وأفق أعلى التتريلات الإلهية، تفجرت القلوب بينابيع الحكمة وأنوار المعرفة.

وأما الإقبال بالكلية لكشف الأسرار: فهو البراق الذى ينتقل به السالك فى سبيل الحقيقة ومن أشهده الله تعالى عجز قوة عقله، وتحقق باليأس عن إدراك الغاية، وعصمه سبحانه وتعالى بالرهبة من عزته، وجمله بالتعظيم لجلاله، فقد تفضل عليه بالبغية الأولى، وأشهده عين التوحيد ومنحه سبحانه منه المزيد. وإنما يتحقق بكشف بدائع الصنع ببهجة النفس بما يلوح لها من حقائق المنن وتلبيته لمقتضيات الإشارات، وبنيل الحرية من رق إتيان الشهوات. وإنما يفوز بكشف أسرار الأعمال والأحوال إذا عمل بالعلم مشاهدا حال العمل نور قيوم قادر، معتبرا بمواقع العبر.

التذكر

قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة: ٢٦٩)، وقال ﷺ (أَحِبُّوا ٱللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنَ ٱلنَّعَمِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ ٱللهِ، وَأَحِبُّوا آلَ بَيْتِي لِحُبِّي) (رواه الترمذى فى كتاب المناقب الباب ٣١).

ويقول الناس فى مثل: (أُذْكُرْ غَائِبًا تَرَهُ).

والتذكر: مواجهة السر لصورة المعلوم المنتقش على جوهر النفس بعلم اليقين.

والعبد بين إعراض وعمى وغفلة. فبالإنابة يزول عنه الإعراض، وبالتفكر يزول عنه العمى فيمكنه أن يبصر، وبالتذكر تزول عنه الغفلة.

ولهذا فإنا عرفنا التفكر أنه بحث، وينبغى أن يكون قبل التذكر لأن التذكر وجود، والمفكر إنما يفكر فيما لا يشهده أو ما لا يعلمه، والمتذكر إنما يتذكر ما شهد أو ما علم ونسى فيكون التذكر وجودًا. ومتى أنس المريد من نفسه بانقداح الخوف والرجاء فى قلبه بسماع العظة، فتحرك للعمل مسارعة لاتقاء الغضب أو العذاب، ورغبة فى نيل الخير الموعود به. والعظة تكون بالسمع والبصر.

أما العظة بالسمع: فبتلقى الوصايا والنصائح والإشارات من بيان الأمر والنهى سماعا من الرسل عليهم الصلاة والسلام، أو من الأئمة الهداة. والعظة بالبصر: ما يراه الإنسان من تصريف القضاء والقدر فى غيره، وتغيير الأحوال مما تقشعر له الجلود وتلين له القلوب، وذاق حلاوة الاستحضار والاستبصار بالعبرة، وتجلت له المعانى التى تصورها بالتفكر من الآيات والعبر، فإن النفس تزكو بها وتتحلى بالحضور، فتقوى العزيمة على المسارعة بقدر ما واجهه من أنوار الاستحضار،

وأكرمه الله بنيل ثمرة الفكرة التي تبتهج بها النفس وتفرح بها، فسارع إلى العمل بمقتضى ما أكرمه الله تعالى به، فقد أحله الله منزلة التذكر.

وعندما يتحقق السالك بحقيقة الافتقار غض البصر عن نقائص المرشد وتيقن صدق الوعد والوعيد، فقد صار من أهل العظة. وإذا منح الله السالك روحًا يحيا بها عقله وعرفه أيامه سبحانه وأعانه على الإخلاص للسلامة من العلل، نزل منزلة استبصار العبرة.

وإن أشهده الله فناء الدنيا وبقاء تبعاتها، فقصر أمله ومنحه سبحانه وتعالى الفهم في القرآن فمال إلى العزلة وهجر التمني والتعلق وتقلل من الطعام والمنام، فقد تفضل عليه بدانى جنى الفكرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بَدْءُ ٱتِّصَالِيَ تَفْكِيرٌ وَتَذْكَارُ ... حَتَّى ٱخْتَفَتْ بِجَلِيِّ ٱلنُّورِ آثَارُ

بَدْءٌ بِهِ سِرُّ عَوْدِي لِلْجَمِيلِ وَكَمْ ... لاَحَتْ لِرُوحِيَ فِي ٱلتَّقْرِيبِ أَسْرَارُ

بَدْئِي بِهِ أَوَّلاً نُورٌ يُضِيءُ بِلاَ ... شَوْبٍ وَلَمْ يُمْسَسَنْ زَيْتِي بِهِ نَارُ

قَبْلَ ٱلتَّطَوُّرِ كَانَ ٱلصَّفْوُ مَنْزِلَتِي ... وَكَمْ بَدَا قَبْلَ مَحْوِ ٱلْبَيْنِ أَطْوَارُ

سِرُّ ٱلتَّنَزُّلِ رَفْعِي عَنْ مُنَازَلَتِي ... فِي ٱلْقُدْسِ سِرِّي فَلاَ يُبْدِيهِ أَخْيَارُ

حَتَّىٰ ظَهَرْتُ بِمَعْنَىٰ سِرِّهَا عَجَبٌ ... غَيْبٌ عَنِ ٱلْعَقْلِ وَهْيَ ٱلطِّينُ فَخَّارُ

يُجْلَى لِأَهْلِ ٱلصَّفَا فِي حَالِ صَفْوِهِمُو ... نُورًا بِهِ تَنْمَحِي شَمْسٌ وَأَقْمَارُ

الفصل الثانى:

خير الوسعة وجمال الاستقامة

الوسعة الإلهية

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧). إنما تكون الوسعة من الله لعبيده بقدر ما منحهم من وسعة قلوبهم لعباده، والله واسع عليم. ومتى أحب الله العبد منحه الوسعة، وخير الوسعة أن يخلقه بأخلاقه، ويتفضل عليه بجمال الرضا عنه، فيرضى العبد عن ربه بعد رضاء ربه عنه، ومقام الرضا فوق المقامات، وهو سر التحقق بالعبودة بعد العبودية والعبادة ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

إنما تشغل الآثار من حجب عن الأنوار، وإنما يشتغل بالأكوان من لم يذق جرعة من صافى الأسرار، وإنما يقف عند الجنات من وقفت همته عند الشهوات. والحق الأول جل جلاله أحد صمد، ليس له كفوا أحد.

بِعِلْمِكَ رَبِّي قَدْ وَسِعْتَ ذَلِيلاَ ... فَسَعْنِي بِإِحْسَانٍ لأَشْهَدَ إِيلاَ
وَسَعْنِي إِلَٰهِي مِنْكَ بِٱلرَّحْمَةِ ٱلَّتِي ... بِهَا كُلُّ شَيْءٍ لاَحَ لِي تَفْصِيلاَ
وَفِي رَوْضِ أُنْسٍ أَدْخِلَنِّي مُجَمَّلاً ... لأَفْقَهَ سِرَّ ٱلْغَيْبِ وَٱلتَّنْزِيلاَ
لَقَدْ بَيَّنَ ٱلْقُرْآنُ عِلْمَكَ سَيِّدِي ... فَبَيِّنْ لِيَ مَوْلاَيَ ثَمَّ سَبِيلاَ
لأَشْهَدَ أَسْرَارَ ٱلْعُلُومِ تُنِيلُنِي ... بِفَضْلِكَ يَامَوْلاَيَ مِنْكَ وُصُولاَ
أَيَارَبِّ عَلِّمْنِي عُلُومًا بِهَا أَرَىٰ ... جَمَالَ ٱلتَّجَلِّي كَيْ أَفُوزَ مُثُولاَ
أَيَاعَالِمَ ٱلْغَيْبِ ٱلْمَصُونِ بِذَاتِهِ ... بِفَضْلِكَ عَلِّمْنِي أَكُونُ دَلِيلاَ
لأَعْلَمَ نَفْسِي وَٱلْعَوَالِمَ كُلَّهَا ... فَأَشْهَدَ فِيهَا ٱلآيَ وَٱلتَّأْوِيلاَ

لأَفْنَىٰ عَنِ ٱلأَكْـوَانِ عُلْـوًا وَسَـافِلاً ... وَأَشْهَدَ غَـيْبَ ٱلْغَـيْبِ مِنْكَ جَمِـيلاَ
أَدِرْ لِي طَهُورَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْحُـبِّ وَٱلْهُـدَىٰ ... لأَحْـيَا بِحَيٍّ فِي ٱلرِّضَـا مَقْـبُولاَ
وَلاَ تَشْغَلَنْ قَلْبِـي بِغَـيْرِكَ يَسِّـرَنْ ... بِمَقْعَـدِ صِـدْقٍ لِلْعُـبَيْدِ نُـزُولاَ
وَنُعْمَـاكَ أَسْـبِغْهَا جَمَـالاً وَنِعْمَـةً ... وَجَنَّـاتِ فِـرْدَوْسٍ تَكُـونُ مَقِـيلاَ

الإصلاح قبل الصلاح

والإصلاح أنواع: إصلاح نفسك بالعلم والرياضة، وإصلاح جوارحك بالمحاسبة فالمراقبة فالخوف، وإصلاح ما بينك وبين الخلق بحسب مراتبهم، ثم إصلاح ما بينك وبين المرشد، ثم إصلاح ما بينك وبين رسول الله ﴿ص وآله﴾ ، فصلاح به تكون عاملا من عمال الله تعالى، وفى مقام الصلاح تمنح الفلاح، ومتى أفلح المؤمن بلغ كل أمانيه، ومن الأمانى الحضور مع الله فعنده فلدنه.

الاستقامة

الاستقامة: الخروج عن المعهود، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق.

والاستقامة فى الوقت: أن تشهد قيامه، والاستقامة فى الأقوال: بترك الغيبة، وفى الأفعال: بنفى البدعة، وفى الأعمال: بنفى الفترة، وفى الأحوال: بنفى الحجبة.

والاستقامة: طلب الإقامة فى محاب الله ومراضيه، ولا يتحقق بها إلا من تحقق بخالص التوحيد، وتناول صافى شراب الموحدين، لأن التمكين فى مقام التوحيد تتميز به الحضرتان وتنجلى به المكانتان، فيتحقق العبد برتبته الحقيقية أمام ربه البديع القادر الحكيم. ولابد للعبيد من لبسة يلبسونها ومعان يتكملون بها ليتحققوا بكمال العبودية أمام السيد العظيم والولى الكبير المتعال، لأن السيد الكبير المتعال

جل جلاله غنى عن الخلق أجمعين وكلهم فقراء إليه، فهو تنزه وتعالى لا يجانسهم ولا يشاكلهم ولا يمازجهم، لأنه سبحانه وتعالى لا جنس له فيتجنس به، ولا شكل له فيتشكل به، ولا تتصوره العقول، ولا تتخيله الأفكار، ولا تحوم حول قدس عزته وجبروته العقول والأوهام، ظهرت معانى صفاته فى أحكام ما أمر لأنه الآمر القادر، ونهى لأنه الحكيم القاهر، وكلف لأنه الملك القوى، وبين سبله إقامة لحجته على عباده، وهو القاهر فوق عباده، يريد الشيء إرادة تكوين فيقدره سبحانه وتعالى، وينهى عنه ابتلاء منه وهو المبلى جل جلاله، ويحب الشيء ويأمر به ولا يقدره سبحانه على من لم يشأ أن يهديه وهو العزيز المنتقم، لا حجة لعبد عليه لأنه الملك المتصرف فى ملكه بما يشاء، ولا ظلم ينسب إليه سبحانه لأنه خلق من شاء لما شاء، ووفق من شاء لما شاء قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ (الرعد: ٢٧).

فلا العلم بخالص التوحيد يجعل العبد مهملا لأن العليم بخالص التوحيد هو الحكيم القادر الناهى، ولا اليقين بحقيقة التقدير يجعل للعبد حجة عليه جل جلاله إذا نسب الله تعالى القبيح إلى العبد وعاقبه عليه، لأنه جل جلاله أرسل الرسل بالبينات وصدقهم فيما جاءوا به من قبله بالمعجزات، حتى ثبت للخلق أجمعين أن أحدا لا يعمل هذا العمل إلا رب العالمين، ولا يجريه إظهاراً إلا على يد صادق أمين، إذ لو كانوا كاذبين فيما جاءوا به لما صدقهم سبحانه بالمعجزة الخارقة للعادة.

وهب لعباده العقول التى تميز بين المعجزة والكهانة، حتى قامت الحجة القاصمة أن غير المستقيم ولى الشيطان الرجيم ولو بلغ من العلم نهايته ومن الكشف غايته، لأن العلم يجرى مجراه والحكم يجب العمل بمقتضاه، فلا العالم مهما بلغ تكون له

الحجة على الله، وعالم لا يخشى الله هو الجاهل حقا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٨).

والاستقامة مراد الله تعالى، المحبوب لحضرته العلية، والسير بسير العلم المطلوب للعبد، وشتان بين مراد الله تعالى من العبد ومراد العبد من نفسه، فالعبد يطلب الكرامة، والله سبحانه وتعالى يطلب الاستقامة، ومن قدم مراده على مراد ربه كان جاهلا عند العلماء بالله وإن ظن أنه عالم- قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (آل عمران: ٧٣-٧٤).

والسعيد حقا من سبقت له الحسنى فوفقه الله للاستقامة وأعانه، والمحجوب حقا من ظن أنه يحسن عملا فطلب الكرامة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ (الزمر: ٩).

والعالم حقا من هجم به علمه على عين اليقين فانتشله الله من أوحال التوحيد فكان حاله فى مزيد، قال ﴿**ص وآله**﴾ (مَنْ لَمْ يَكُنْ فِى زِيَادَةٍ فَهُوَ فِى نُقْصَانٍ، وَمَنْ كَانَ فِى نُقْصَانٍ فَٱلنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ) (رواه الدارمى فى كتاب فضائل القرآن الباب ٤).وقال الله تعالى لرسوله﴿**ص وآله**﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).وعلم بمحو الآثار والآيات عندنا هو علم الأطفال، فمن لم يكن فى مزيد من العلم حتى يثبت ما أثبته الله ويسارع إلى مرضاته ومحابه، فهو فى جهل.. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

فيجب علينا أن نسارع إلى الاستقامة عملا بعلم الله وإن جهلنا الحكمة، فإنما نحن مكلفون لنطيع الأمر فقهنا الحكمة أو جهلناها، وكل علم ينتج شهودا يخالف الاستقامة هو جهالة وضلالة. وكيف لا يكون كذلك وصاحبه يحكم بعلمه على علم ربه، ويخالف بشهوده حكم ربه جلا جلاله وهو الخسران المبين؟!! إلا من صال عليه الحق صولة فسلب منه ما وهب، ولديها يسقط عنه ما أوجب، وهم الموتى وإن كانت أجسامهم تتحرك، الذين اقتطعتهم المحبة من غير سكينة، فصيرتهم أرواحا بلا أشباح، لا يتألمون بما يتألم منه الناس، ولا يتلذذون بما يتلذذ الناس به، وهم أهل الإصطلام بمشاهدة التوحيد بالتوحيد، لا يشهدون لأنفسهم وجودا... فكيف يشهدون مقتضيات الوجود؟!!

تجلت لهم الأسماء والصفات فحجبت أنوارها الكائنات، فغابوا عن أنفسهم بمنفسهم، وعن مقتضيات قلوبهم بمقلبها، وليست دعوى يدعيها السالك، ولا تكلفا يتكلفه مريد الحق، وإنما هى حال قاهرة عن سجية صادقة بعد تزكية النفوس وشوقها إلى القريب القدوس، وليس هؤلاء أئمة للمتقين ولا هداة للأمة، لأن القوة التى بها التكليف سلبت، والحقيقة التى بها التعريف قويت. خرست ألسنتهم لاستغراقهم فى شهود الواحد، وصمت آذانهم عن غيره، وحجبت أبصارهم عن سواه، سر قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥). وقوله تعالى:﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (الذاريات: ٥٠) والفار إلى الله من نفسه، المستوحش من وجوده، كيف يأنس بغيره، أو يرى وجودا لسواه؟ فإذا رد إلى الخلق وأنس بهم وفارقته الاستقامة، كان داعيا إلى الضلالة ناهجا سبيل الغواية، نعوذ بالله منهم. ومحبوب الله تعالى إذا رده إلى خلقه جمله بحلل حبيبه ومصطفاه، وسلك به على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين، فكان صورة محمدية كاملة يمثله ﴿ص وآله﴾ ظاهرًا وباطنًا، مشكاة لمصباح أشرق زيته وصفت زجاجته، عمله السنة، وقوله الحكمة، وحاله المحبة والتوكل على الله والتفويض لله، والسكر بكلام الله، والفرار إلى الله، والمسارعة إلى مراضى الله ومحابه، وهو الإمام الذى يظهره الله، فترى جسمه فى الأرض بين الناس، وقلبه معلق بالملأ الأعلى، أنفاسه ريحان ملائكة الله، وأعماله زينة الفردوس الأعلى.. توحدت همومه فصارت هماً واحداً فى الله، لو غاب رسول الله ﴿ص وآله﴾ عنه نفسا لعد نفسه مشركا، وهو الفرد الذى لا تفارقه الاستقامة وإن كانت أحواله توجب الملامة، حصن الله شهوده بالسنة بحقيقة ما تفضل به عليه من المنة، خفيت إشاراته لأنها من غوامض أسرار التوحيد، ووضحت عباراته لأنها بيان المبدىء المعيد- قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ (الرحمن: ١-٤). عبارته الشفاء للقلوب، وأحواله التنويع للنفوس، وإشارته تلويح عن الغيوب، لا يقهره حاله لأنه مقهور بقهر الحكيم القادر، محصن فى حصن حكم اللطيف الخبير العليم، تجلت له صفات أهل معية رسول الله ﷺ حتى لو همت نفسه بمخالفة فى صغيرة أو كبيرة، تداركته عناية الولى القريب- سر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

إذا أظهره الله فى الوجود فتح به عيون القلوب وأطلق به الألسنة بالحكم وأسرار الغيوب، نوع به النفوس وزكاها وطهرها من لبسها، وبالأخلاق الطاهرة والاستقامة حلاها، سر قول رسول الله ﴿ص وآله﴾ (ٱلۡعُلَمَاءُ سُرُجُ ٱلدُّنۡيَا

وَمَصَابِيحُ ٱلآخِرَةِ) (رواه ابن عدى عن سيدنا على ﷺ وهو حديث صحيح كما قال المناوى).

بِفَضْلِكَ هَبْنَا ٱلإِسْتِقَامَةَ يَارَبِّي ... فَإِنَّكَ يَأَللَّهُ فِي رُتْبَتِي حَسْبِي
يَقُولُ لِسَانِي ٱللَّهُ فِي ذِكْرِهِ رَبِّي ... فَهَبْ لِي يَقِينًا كَيْ يُصَدِّقُهُ قَلْبِي
وَهَبْ سَيِّدِي مِنْكَ ٱسْتِقَامَتَنَا ٱلَّتِي ... نَنَالُ بِهَا ٱلْبُشْرَىٰ نُجَمَّلُ بِٱلْحُبِّ
يَقُولُ لِسَانِي ٱللَّهُ رَبِّيَ مُوقِنًا ... وَفِي آيَةِ ٱلْقُرْآنِ بُشْرَىٰ لِذِي لُبِّ
لَقَدْ قُلْتُهَا يَارَبِّي هَبْنَا بَشَائِرًا ... بِدُنْيَا وَأُخْرَىٰ هَنِّنَا رَبِّ بِٱلْقُرْبِ
ذَكَرْنَا بِفَضْلٍ مِنْكَ وَفِّقْ جَمِيعَنَا ... لِمَا أَنْتَ تَرْضَاهُ أَيَاعَالِمَ ٱلْغَيْبِ
أَيَارَبِّ وَرِّثْنَا عُلُومَ مُحَمَّدٍ ... لِنُعْطَىٰ مَقَامَاتِ ٱلأَوَائِلِ وَٱلصَّحْبِ
وَأَحْيِ بِنَا آثَارَ أَكْمَلِ مُرْسَلٍ ... وَغَلِّبْ بِنَا ٱلْقُرْآنَ فِي ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ
بِنَا سَيِّدِي جَدِّدْ مَعَالِمَ سَادَةٍ ... لَقَدْ جَعَلُوا فِي ٱللَّهِ فِي صَوْمَعَةِ ٱلْحَبِّ
أَمِتْنَا عَلَى ٱلإِسْلاَمِ وَٱجْعَلْ قُبُورَنَا ... رِيَاضَ شُهُودٍ يَامُجِيبُ مِنَ ٱلرَّبِّ

المناجاة

ما ألذ مناجاة طالب الله حين يناجى ربه راجيا أن يرفع سبحانه عن عيني قلبه الحجب المانعة حتى يشاهد نور الله، وما أقوى المناجاة عندما يناجى صفات الله التى استقرت معرفتها فى القلب، فهو لا يناجى إلا صفات الحق سبحانه وهى حرية بالاستجابة، فترتفع الحجب وتزال الستائر، وينجلى المراد لينعم العين والفؤاد.

هَبْ لِرُوحِي ٱلاِسْتِجَابَهْ ... كَيْ أَنَالَ بِهَا ٱلإِنَابَهْ

وَٱسْتَجِبْ لِلْعَبْدِ فَضْلاً ... أَعْطِهِ رَبِّ مَتَابَهْ

لِي ذُنُوبٌ أَثْقَلَتْنِي ... أَطْمَعَتْنِيَ فِي ٱلإِثَابَهْ

لَنْ يَضُرَّكَ رَبِّ ذَنْبِي ... ٱغْفِرَنْ وَٱمْحُ عِقَابَهْ

عَفْوُكَ ٱلْعَالِي رَجَائِي ... فَٱمْنَحِ ٱلْعَبْدَ شَرَابَهْ

تُبْتُ فَٱقْبَلْ رَبِّ تَوْبِي ... أَعْطِ لِلْعَبْدِ ٱقْتِرَابَهْ

قَرِّبَنْ عَبْدًا مُسِيئًا ... خَوْفُهُ صَارَ جَوَابَهْ

أَنْتَ تَوَّابٌ كَرِيمٌ ... فَٱرْحَمِ ٱلْعَبْدَ ٱضْطِرَابَهْ

جَاءَ مُضْطَرًّا يُنَادِي ... حَقِّقَنْ لِي ٱلاِسْتِجَابَهْ

وَٱفْتَحَنْ كَنْزَ ٱلْعَطَايَا ... وَٱمْحُ بِٱلْحُسْنَىٰ ٱغْتِرَابَهْ

بِٱضْطِرَارٍ جَاءَ يَرْجُو ... خَفِّفَنْ رَبِّ حِسَابَهْ

أَعْطِنِي ٱلْحُسْنَىٰ وَوَسِّعْ ... رَبِّ فَضْلَكَ بِٱلإِنَابَهْ

أَكْرِمِ ٱلأَوْلاَدَ رَبِّي ... أَعْطِهِمْ مِنْكَ ٱلإِجَابَهْ

أَدْرِكِ ٱلإِسْلاَمَ وَٱنْصُرْ ... بِٱلأَئِمَّةِ وَٱلصَّحَابَهْ

الفصل الثالث:

أفرد مولاك بالقصد

قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٥٥).

قد تميز المسلم بكمالات أثبتت أنه إنسان كامل حقا، منها أنه آمن بالغيب بعد سماع الحكمة من رسول الله ﴿ص وآله﴾ ، وأن نفسه نفس نورانية، وغيره لم يؤمن إلا بالحس وهم العالم أجمع، ومن اعترض على باليهود أقيم عليه الحجة فإنهم وإن كانوا آمنوا بالغيب بعد بيان الكليم عليه الصلاة والسلام إلا أنهم قالوا: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ (الأعراف: ١٣٨)، عندما رأوا عباد الأصنام رجعوا لفطرهم الأصلية، وكان العالم أجمع بين مجسم ربه يجعله من حجر أو من معدن، وبين عابد لكوكب أو عابد لإنسان يأكل ويبول ويتغوط وينام.

وقلب المسلم تتره عن هذا النقص، حتى ولو كان من المفرطين فى عمل الكبائر، فإن جوارحنا تتقلب فى المعاصى وقلوبنا معقودة على كمال التوحيد والحمد لله، ومهما ارتكبنا من المعاصى فنجسنا جوارحنا أشرقت أنوار التوحيد من القلوب، فمحت ظلمات المعاصى، وغيرنا من العالم مهما عملت جوارحهم من أنواع الخيرات انبعثت ظلمات العقيدة فمحت نور تلك الأعمال.

- ومن تلك الكمالات أن الله سبحانه وتعالى حفظ فينا رسوله ﴿ص وآله﴾ ، فلا يمضى زمان إلا ويظهر الله تعالى من يجلو أسرار الكتاب والسنة وغوامض الحكمة التى لأجلها أوجد العالم، فألهمه الله

تعالى سر البيان وفصل الخطاب، فكان وارثا لرسول الله دالا على الحق بالحق مجددا للسنن مبينا للمناهج.

- ومن تلك الكمالات وسعة القرآن والسنة وسعة جعلت العلماء يستنبطون منها الحكم على كل ما يتجدد فى الزمان.
- ومن تلك الكمالات حفظ الكتاب والسنة من الميل والطغيان.
- ومنها حفظ المسلمين من أن يقهرهم عدوهم ولو اجتمع عليهم.
- وليس التاريخ ببعيد، فقد اجتمعت دول أوروبا فى الحروب الصليبية لمحاربة المسلمين فقهرهم الله وردهم أذلاء، ومنذ قرون طويلة وأوربا وأمريكا يعملان على إطفاء هذا النور بانتشار المبشرين والعهارة والخمر والأفيون والبنج والحشيش والربا، وعمل القوانين المخالفة للآداب الإسلامية وتنفيذها بالقوة القاهرة على جماعة المسلمين، وإفساد القلوب بالأموال والوظائف واحتلال البلاد الإسلامية، ومحو صناعتها وآثارها الإسلامية، بل وسلب تجارتها وزراعتها، كل ذلك يحصل والله سبحانه وتعالى القهار المنتقم، يحفظ حزبه ويهلك عدوه قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).
- ومن تلك الكمالات أن المسلمين مهما تفرقوا بعوامل أعدائهم فإنهم إذا سمعوا صيحة الدين لبوا جميعا واستماتوا تحت كلمة الدين لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ١٤١).

- ومنها أن الله تعالى لا يعم المسلمين بسنة جدبا، فإن شاء الله تعالى أن يحبس الغيث عن جماعة من المسلمين هطل عند جماعات فى الأقطار الأخرى.
- ومن تلك الكمالات وأفضلها وأكملها مراقبة الله تعالى فى الشدة والقوة. بخلاف بقية الأمم، فإن المسلمين فى زمان ظهورهم وتمكنهم فى الأرض بالحق أقاموا الحجة على مراقبة الله تعالى فيمن بقى من الأقليات الذين يدينون بغير دين الإسلام؛ فإنهم عاشوا بين المسلمين كأنهم منهم متمتعين بالترف والتنعم محفوظة أموالهم وأعراضهم وأديانهم، بخلاف بقية الأمم وخصوصا من أهل الكتابين، فإن الإفرنج دخلوا أمريكا فلم يبقوا فيها أثرا من أهلها، وقد دخلوا الأندلس فمحقوا كل إنسان مسلم فيها حرقا بالنار وإغراقا فى البحر، ولا تزال رشاشاتهم فى البلاد الإسلامية تحصد النفوس حصدا على غير ذنب إلا أنهم أصحاب الملك وأهل الوطن وقبلوا الإفرنج والأمريكيين بسماحة مراقبة له تعالى ورحمة بخلقه.
- وهؤلاء اليهود: كل إنسان يعلم أنه لا رحمة فى قلوبهم لغير أهل دينهم، فتراهم حتى فى وسط البلاد الإسلامية أو النصرانية يكرهون مجاورة غيرهم ومعاشرته إلا فى سلب الأموال واحتكار البضائع.

فالمسلمون هم حزب الله وعماله، وهم الأمناء الذين إذا مكنهم الله فى الأرض رحموا عباده وأحسنوا، وإن مكن منهم صبروا وراقبوا الله تعالى. وقد آن لجماعة المسلمين أن يرجعوا إلى ما كان عليه سلفهم ليرجع الله تعالى لهم كما كان لسلفهم، وأن يكونوا فى تلك الدار الدنيا قوامين لله شهداء بالقسط ولو على أنفسهم لنفوز إن شاء الله تعالى بالتمكين فى الأرض بالحق وبمقعد صدق بجوار رسول الله عند مليك مقتدر يوم القيامة، فإن الله تعالى قابل التوب وغافر الذنب،

منحنى الله وإخوانى المسلمين التوبة والإنابة والعمل بسنة رسول الله ﴿ص **وآله**﴾ ، وجدد بنا المجد الذى كان لماضينا إنه مجيب الدعاء.

أَفْرِدَنْ بِٱلْقَصْدِ مَوْلاَكَ ٱلْعَلِيْ ... تَشْهَدَنْ غَيْبًا مَصُونًا أَوَّلِيْ

فِي ٱلْمَظَاهِرِ فَٱشْهَدَنْ آيًا تَرَىٰ ... غَيْبَهُ قَدْ لاَحَ يُجْلَىٰ لِلْوَلِيْ

لاَ تَقِفْ عِنْدَ ٱلْعُلُومِ وَسِرِّهَا ... وَٱطْلُبِ ٱلْمَعْلُومَ مِنْهُ بِهِ أُخَيْ

لاَ تَقِفْ عِنْدَ ٱلْمَحَبَّةِ إِنَّهَا ... حَجْبَةُ ٱلْعُشَّاقِ عَنْ غَيْبٍ بَهِيْ

وَٱعْبُدِ ٱلْمَعْرُوفَ جَلَّ جَلاَلُهُ ... إِنْ مُنِحْتَ ٱلْعِلْمَ وَٱلْكَشْفَ ٱلسَّنِيْ

فِرَّ مِنْ كَوْنٍ وَأَزْمَانٍ إِلَىٰ ... حَضْرَةِ ٱلإِطْلاَقِ تَدْعُوكَ إِلَيْ

تِلْكُمُو ٱلآثَارُ أَلْوَاحٌ بِهَا ... حَضْرَةُ ٱلْمَعْبُودِ جَلَّ عَنِ ٱلسَّمِيْ

وَٱقْرَأَنْ آيًا بِهَا تَفْرِيدُهُ ... رَتِّلَنْهَا مُخْلِصًا يَاأَلْمَعِيْ

وَٱفْنَ عَنْ تِلْكَ ٱلْمَظَاهِرِ وَٱرْتَقِ ... لِلصَّفَا ٱلْقُدْسِيِّ وَٱلْغَيْبِ ٱلْعَلِيْ

قِفْ عَلَىٰ تُرْبِ ٱلْعُبُودَةِ خَاضِعًا ... يَطْمَئِنُّ ٱلْقَلْبُ بِٱلْكَشْفِ ٱلْجَلِيْ

كَشْفِ مَضْنُونٍ عَنِ ٱلأَفْرَادِ عَنْ ... كُلِّ مُشْتَاقٍ إِلَى ٱلرَّاحِ ٱلرَّوِيْ

عَمِّرَنْ قَلْبِي بِمَعْنَى ٱلإِجْتِلاَ ... وَٱجْذِبَنِّي لِلشُّهُودِ ٱلأَحْمَدِيْ

رَاحُ عِيسَىٰ رَاحُ مُوسَـىٰ أَسْـكَرَتْ ... رَاحُنَا قَدْ طَمْأَنَتْ قَلْبَ ٱلصَّـفِي

رَاحُ خَيْـرِ ٱلْمُرْسَـلِينَ جَمِـيعِهِمْ ... تَجْذِبُ ٱلأَرْوَاحَ جَذْبًا سَرْمَدِيْ

بَـدْؤُهَا ٱلْعَبْـدُ صَـفَاءً فِـي وَفَـا ... خَتْمُهَا عَبْدِيَّـةٌ نِعْـمَ ٱلْـوَلِيْ

مَا صِيَامِي مَـا صَـلاَتِي مَـا أَنَـا؟! ... كُلُّ ذَا حَجْبٌ وَمَوْلاَنَـا عَلِـيْ

أَفْرِدَنْـهُ فِـي ٱلصَّـلاَةِ وَكُـنْ لَـهُ ... فِي ٱلصِّيَامِ تُجَاهِدُ ٱلدَّاءَ ٱلدَّوِيْ

وَٱخْلَعَـنْ حَظًّـا بِـهِ شُـغْلٌ بِمَـا ... يَحْجُبُ ٱلأَرْوَاحَ عَنْ حُبِّ ٱلْقَوِيْ

وَٱعْشَـقِ ٱللَّـهَ تَعَـالَىٰ نَـزِّهَنْ ... ذَاتَهُ عَنْ كَيْفَ كَمٍّ كُـلِّ شَـيْ

ذَاتُـهُ قَـدْ نُزِّهَـتْ فِـي كُنْهِهَـا ... خَلِّ أَسْمَاءً وَكُنْ عَبْدًا رَضِـيْ

وَٱسْـأَلَنْ مِنْـهُ ٱلْعُبُـودَةَ فَوِّضَـنْ ... كُلَّ أَمْـرٍ لِلْمُجِيـبِ وَلِلْـوَلِيْ

وَٱنْهَجَـنْ مِنْهَـاجَ أَكْمَـلِ مُرْسَـلٍ ... تُمْنَحِ ٱلْحُبَّ مِنَ ٱللَّـهِ ٱلْعَلِـيْ

الباب الخامس

درر الإشارات فى رموز العارفين

الفصل الأول:

شهود الجمال وظهور الغيب المصون الشهود

إن القلوب التى يحبها الله تعالى منحها عيونا تشهد جماله، وتلك العيون التى منحها إياها تشتاق إلى أن ترى هذا الجمال، فيتجلى جل جلاله لها بقدرها، ثم يوسعها فلا تزال فى شوق حتى تصل إليه سبحانه وتعالى، فإذا وصلت إليه جل جلاله انتقشت معانى صفاته عليها؛ فتبدلت الأرض غير الأرض، والأرض هى الهيكل الإنسانى، والسموات غير السموات، وتلك السموات هى القوة الروحانية، فبعد أن كان شوقها إلى ربها، صار شوقها إلى الله تعالى، ولا ينتهى الشوق ولو كان الإنسان فى مقعد صدق؛ لأن معبوده لا يحويه مكان، ولو أقامه فى مقعد صدق لكان هذا المكان حجبه؛ لأن محب الله – تعالى- لا يأنس لغير ذاته، وذاته تترهت عن أن تحد أو تعد أو توصف؛ فيدوم شوقه إليها، ويتوالى انكشاف جماله العلى لهذا المحب، إلى ما لا نهاية، وكمالات الله – تعالى- لا نهاية لها،ولا بداية لها، فمساكين أهل المحبة، فهم فى أنس، وفى وحشة: أما أنسهم، فبما ينجلى لهم من جماله العلى، وأما وحشتهم، فبعد المحبوب عنهم عظمة وجلالا، ولبعدهم دناءة وخسة، فحقيقتهم العبدية، فتشع عليهم سواطع جماله وكماله، ساطعة على أرواحهم، وهم فى عذاب ونعيم، عذابهم للشوق إليه، وأما النعيم فبالرضا عنهم، وهم رضى الله عنهم، ورضوا عنه.

الغيب والشهود

قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ (الكهف: ٢٨).

إذا سترت أنوار غيب الأسماء بالمعانى، مبانى الشهود أخفت ظلالها، فظهر الغيب المصون ظهورا بمقتضى معنى الأسماء الداعية لحكمة الإقامة، فنظر القائم المغيب بعين الحكمة المقتضية لإقامته رسولا وبشيرا وسراجا منيرا، والمشهود من الغيب اسم محيط من أسماء الجمال: كالرحمن، والغفور، والرحيم، والتواب، والحليم، والعطوف، وتلك الوسعة بكل اسم منها وسعت كل شئ، فيزيد بحسب الروح الملكوتية تنزل تلك الوسعة، ليحيط بالعالم إحاطة تجعلهم متحققين بالألوهة، تحقيقا يثبت لهم العبودة المطلقة، التى لا تخرجها ظلال معانى الصفات عن التحقق بالعبودية، ولو منحوا الكلمة، وما فوق الكلمة.

فى هذا المقام يكون حنين صاحب المقام الأعلى، أن تحيط أسماء الجمال كل كافر نافر، أو جاحد لاحد، ولكن مقام الربوبية يقتضى أن يراعى رعاية تامة، يحفظ فيها العبودية أو العبدية، إن لم ينفذ من إطار العبودية، ومن لم يقف فى هذا المقام وقفة التمكين، ولا ينفذ من أقطار الربوبية إلا على الألوهة، لا شهودا ولا وجودا، والله – تعالى- يحب مقتضى ما ظهر لك.

قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾مع أهل التمكين فى التحقيق بالعبودية للربوبية، فإنهم البرزخ بين أهل البعد والقرب، وصبرك معهم يكشف لك الحجاب عن أهل البعد، فتتوسط فى الإقامة معهم، فلا تتمنى لهم رحمة، ولا تتعنى فى طلب قبولهم فى الإيمان، وإقبالهم على الله تعالى:﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ﴾ عن أهل هذا المقام؛ لأنك فى مرتبة

الرسالة مكلف أن تكون بشيرا ونذيرا، فبشيرا للذين يدعون ربهم، ونذيرا لأعدائهم، ونظرك إليهم بعين الوسعة بالرحمة التي جعلها الله قواما لك، لا يقتضيها مقام الرسالة؛ لأن الرسالة مقامها ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: ١٠٥).

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨).

الحجب والشهود

ستر الحس عن شهود الآيات، أو التمتع بتلقي البينات، لا يضر السالك إذا حصل له الشوق، وإنما عند البعد عن رياض الشهود، فإن الله -جل جلاله- واجه أحبابه مواجهة اتحاد، ثم حجب عنهم بهاءه، وحنانه وجماله، عظمة وعلوا وعزة، فاحترقت قلوبهم شوقا إليه، وهو معهم بأعينه العلية، مع ما هم فيه من الهيمان إليه، ولهم في كل نفس مزيد، وإنما يحصل الستر ليقوى الشوق عند المرادين، ويحترق القلب حنينا إلى نيل ما يقرب لرب العالمين، فيكون قريبا بنفسه من حضرة أنسه، قريبا بقلبه من ربه، وإن بعد جسمه، وحجب حسه، وإنما يكون الشوق في الغيبة والحضور لأهل الصفا، وللنفس أوابد تدعو إليها فطرتها، ودواعي قواها، فإذا شعر السالك بملل اقتضاه الجسم فليعط جسمه حقه، أو فتور اقتضاه العقل فليشحذ بالرياضة عقله، أو ستور اقتضتها النفس فليمزق تلك الغواشي عن نفسه، حتى تستريح من لبسه.

الشهود والوجود

متى جذبك به إليه فاشهد نور أوليته ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ (مريم: ٩). واجعل معنى ﴿خَلَقْتُكَ﴾ شهودا، و﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ رعاية ووجدا لا وجودا، حتى تجمع بين التمكين في مقام اليقين، والتفريد في مقام

الغيب، ولديها كن كيف شئت فإنك محفوظ، فإنه منح المشيئة لمن أثنى عليهم بقول: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢)، ومتى كنت عند ربك وهبك ما تشاء، فأحبب أن تشاء ما يشاء، وتبرأ من أن تكون مريدا فتصير مرادا، لأنه هو المريد، وليست لك إرادة، وبين أهل الصفا وأهل الوفا حجاب هو الشهود، فتجاوزه إلى مقام الوجود به سبحانه له جل جلاله، يكن لك معينا ويسخر لك ما سواه ومن سواه، ومن كان الله له يتجاوز أمله، وقال لا إله إلا أنت، وجهك الجميل محبوبي، ورضاك وفضلك مطلوبي، لك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شئ بعد، فإن العرش بما حوى وما فوقه مظاهر أسماء جمال الله، وألسنة ناطقة بعميم نعم الله، وأياد متوالية بواسع فضل الله، والله يتولى الصالحين.

الفصل الثانى:

الراح والشرب ونفخة القدس

الراح صورة ما رسم على جوهر الروح، وهو المزيد الذى أخبر الله عنه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وفى مقام الجمع يسمى راحا، وفى مقام الفرق يسمى شرابا. وإنما سمى راحا فى مقام الجمع لفناء المحتسى عن الوجود التقييدى، وفيه الإشارة إلى الروح وإلى راحة الهيكل. وفى هذا المقام قد روح المحبوب مع الذين روحوا. بجواذب تلك الصورة الخفية التى رسمت على جوهر الروح، فإن الروح إذا لحظت مجانسها غابت عن مفارقها، فحصل الاتحاد الكلى بمحبة الهجرة التى هاجرتها الروح من سجن نأيها وسافلين بعدها.. لا أقول إنه الهيكل، ولكنه الصورة التى يرسمها الحس على جوهر النفس فتكون ظلالا على جوهر الروح. والمدامة هى الحكمة البالغة التى تصغى إليها روح السالك عند سياحته، وقطعه (ص) (فقاف) ودنوه من (كاف)، فإنها جبال شامخات أودت بالإنسان – فى إنسانيته– إلى مهاوى البعد عما يجانس الروح، والحكم للقاهر. وفوق هذا الراح نفخة القدس، وهى راح ولكنه ليس تصوريا ولا تمثيليا، ولكنه (الكافور) أو (السلسبيل) الذى يسقيه ربنا جل جلاله للبصير بالمعنى وللمقربين بالحقيقة.

أَسْكِرْ نُفُوسَ ٱلْقَوْمِ صَـافِي ٱلـرَّاحِ مِنْ غَيْرِ مَـا مَـزْجٍ وَلاَ أَقْـدَاحِ
رَاحًا طَهُورًا أَسْكَرَتْ أَهْـلَ ٱلصَّـفَا فِي ٱلْبَدْءِ قَبْلَ ٱلْكَـوْنِ وَٱلأَشْـبَاحِ
عِنْـدَ ٱلتَّجَلِّـي فِـي مَقَـامِ تَنَـزُّلٍ فِي حَضْرَةِ ٱلزُّلْفَىٰ لَـدَى ٱلْفَتَّـاحِ
رَاحٌ مُقَدَّسَـةٌ تُشِـيرُ إِلَـى ٱلْبَهَـا بِـٱلرَّمْزِ لاَ ٱلتَّعْـبِيرِ وَٱلإِفْصَـاحِ
بَدْءًا سَـقَاهَا ٱلـرَّبُّ جَـلَّ جَلاَلُـهُ تُومِي إِلَى ٱلْمِشْـكَاةِ وَٱلْمِصْـبَاحِ
يَاسَـاقِيَ ٱلأَرْوَاحِ رَاحَ جَلِيِّهَـا بِٱلْعَبْـدِ لِـلأَرْوَاحِ لاَ ٱلأَشْـبَاحِ
غَيَّبْتَ عَنِّي ٱلْكَوْنَ بَلْ أَظْهَـرْتَ لِـي وَجْهَ ٱلْجَمِيلِ ٱلْحَقِّ بَعْـدَ نُـوَاحِي
وَجْهُ ٱلْجَمِيلِ يَلُوحُ لِلْفَـانِي ٱلَّـذِي فَضْلاً تَنَاوَلَ مِـنْ طَهُـورِ ٱلـرَّاحِ
حَتَّىٰ أَرَى ٱلْوَجْـهَ ٱلْعَلِـيَّ مُقَدَّسًـا يُولِي جَمَـالَ عَوَاطِـفِ ٱلأَرْوَاحِ
ٱلـرَّاحُ هَيَّجَنِـي وَجَـدَّدَ صَـبْوَتِي وَٱلذِّكْرُ رَاحُ ٱلرُّوحِ فِي ٱسْـتِرْوَاحِ
يَاسَـاقِيَ ٱلأَرْوَاحِ أَنْـتَ حَيَاتُهَـا قُمْ وَٱغْتَنِمْ خَيْرَ ٱلصَّـفَا يَاصَـاحِ
ٱلْحُبُّ مِعْـرَاجٌ وَرَشْـفُ مُـدَامَتِي جَذْبُ ٱلنُّفُوسِ لِحَضْـرَةِ ٱلْفَتَّـاحِ

الفصل الثالث:

التوجه والمواجهة والمقابلة والمجاهدة والسماع

التوجه والمواجهة

بين التوجه والمواجهة كما بين عمل القلب والجسم، فالتوجه خرق العادة، والمواجهة محو السور والرسم، ولديها تحلو العبادة، وتطيب العبودية، وتصح العبودة، وشتان بين مهاجر إلى الحبيب، وبين آنس به فى مقام قريب، كل ذلك فى حفظ المراتب، وتوحيد المطالب، وتفريد الصاحب، حتى يذوق حلاوة الإقبال، فيفوز بجمال القبول، ولديها فالله الصاحب، قال ﴿**ص وآله**﴾ (ٱللَّهُمَّ أَنْتَ ٱلصَّاحِبُ فِى ٱلسَّفَرِ ٱلْحَضَرِ) (رواه أحمد الجزء ٥ ص ٨٣).

وناهيك ببهجة من الله صاحبه، بعد أن تأدب بصحبة العبد، وتحصن من الصد والرد، وإنما هو أدب به نيل الإرب.

المواجهة والمقابلة

سئل الإمام أبو العزائم عليه السلام : ما المواجة ؟ والمقابلة ؟فقال: المواجهة والمقابلة بينهما برزخ: المقابلة فيها قيود الأين، والموجهة فيها محو الأين والبين ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ١١٥).

المجاهدة والمواجهة

نفس فى المواجهة خير من سنة فى المجاهدة، لأنك ترى نفسك فى هو، ويكون قولك عمن أو فيمن أفاض عليك الفيض المقدس، أو فيمن أبدعك وأنشأك، وفى ذلك من التواضع فى الرمز الأدنى، ومن شهد حصون الأمن والإمداد عظم النعم فى

الناس، ومن شهد حصون الأمن والإمداد فى حضرة مواجهة وجه الله العلى شهد ما فيه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

أما المجاهدة وإن عظمت فإن النفس فى الجهاد قد تترع للعناد، لأنك ترى من هو أقل منك أو مساويك فى ذاتك.

أيها الأخ السالك فإن كنت حاضرا فقدم المواجهة على غيرها، وإن كنت بعيدًا بحالك فاحضر، وإن نسيت فاذكر تكن فى أنس المشاهدة.

السماع والمواجهة

لا يصح سماع إلا بالمواجهة مادام التجانس محفوظاً، فإن اختلفت المراتب صح السماع والمواجهة بدون أن يكون السامع متنعما بتحديد التلقى، فقد يكون التلقى ولا تصح المواجهة، وذلك فيما بين الله تعالى وعبده. أما بين الملائكة والأناسى، فإن مقام النبوة لا يمنع من المواجهة للأرواح العالين ورؤيتها، وأما مقام الإلهام فلا تصح فيه المواجهة؛ لأنه نفثات فى القرب؛ وذلك لأن هياكل الرسل - عليهم الصلاة والسلام- لم تلابسها ظلمات المعاصى، ولا أدران الحظوظ والأهواء، فتحجب الروح عن مواجهة الروح، فضلا عن مواجهة الحق. ومهما يبينه أهل القرب من المواجهة، والمقابلة، والمنازلة، والحضور، فإنها معان وجدانية،تطمئن بها القلوب طمأنينة فوق طمأنينة المشاهد حسًا، كما قال ﴿**ص وآله**﴾ (ٱعۡبُدِ ٱللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ) [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد].

أما بالحس والجسم فهذا محظور شرعًا وفعلا، اللهم إلا إذا فارق الإنسان تلك الحياة الدنيا، وانتقل إلى الدار الأخرى، التى لا تعريف ولا تكليف بها، فإن التعريف والتكليف إنما هما لمحجوب عن الغيب المصون، أو لمفارق لأفق النور، أما فى الدار الأخرى فالحقائق جلية، والأسماء مشهودة، لكل حى حياة أخروية. قال تعالى مخبرًا

عن أهل الكفر:﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا﴾ (السجدة: ١٢). وهذا خبر الله تعالى.

فالسالك المتحقق على يد المرشد، يمنح المواجهة، والمقابلة، والمنازلة، والحضور، بالحالة التى بينتها لك.

وقد سئل سيدنا على كرم الله وجهه: هل رأيت ربك؟ فقال: (أو أعبد من لم أر!!). والمراد من الرؤية ما تنتجها، وهو طمأنينة القلب طمأنينة تفوق طمأنينة من رأى، وسمع، وذاق، ولمس، وشم، وحس، وهى الرؤية الحقة المعتبرة عند المقربين من الله تعالى. وهنا يجمل بنا أن نبين معنى السماع الذى هو شرط فى الصحة عند علماء الرواية، وشرط فى الحضور عند الله تعالى، وعند أهل القلوب، فإن أسرارنا فى مقام عين اليقين وحق اليقين، لا تسعها الدفاتر، ولا الرسائل، وإنما هى أسرار من لسان العارف إلى أذن فقلب المتلقى، يسبق نورها لفظها، فينكشف ستار الكون المحسوس عما أبدعه المبدع الحكيم فى طي تلك المباني، وليس من سمع من المتمكن، كمن سمع من المتلون، كمن سمع من الحافظ، أو الرواية عن غيره من غير عقل.

ولو أن مطلق سماع ينتج نتيجة الجذبة الكبرى، التى تمحق البين من البين، حتى تقع بها العين على العين، لما رأيت على وجه الأرض من سمع العلم، إلا وهو مأخوذ أخذة تجعله بها متمكنا فى الحضرتين، عاملا من عمال الله تعالى، وهو فى تجارته وزراعته لا يشهد فاعلا مختارًا سوى الله تعالى، وهو قائم بشئونه أكمل مقام.

الفصل الرابع: الحلل العلية

القصد واليقين

بقدر القصد يكون الوجد، وبقدر اليقين يكون التمكين، وعند تفريد القصد علما يسهل الشهود عينا، وإنما يفرد محبوبه بالقصد الفرد بعد بذل الجهد، وإنما كانت المجاهدة لتفريد القصد، وإلا فليس بينك وبين مقصودك الأعظم بين تحتاج بالمجاهدة إلى محوه، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١).

ٱلذَّاتُ مَقْصِدُ فَرْدِهَا فِي ٱلْحَالِ ... وَٱلْحَالُ مَقْصِدُ رُتْبَةِ ٱلأَبْدَالِ

لاَ يَشْغَلَنْكَ ٱلْحَالُ يَافَرْدُ لَهَا ... فَٱلذَّاتُ كَعْبَةُ وِجْهَةِ ٱلْكُمَّالِ

وَٱنْظُرْ لَهَا بِعُيُونِ قَلْبِكَ وَاجِدًا ... لاَ تَشْتَغِلْ بِمَرَاتِبٍ وَمَقَالِ

حَتَّىٰ تَكُونَ لَهَا ٱلْمُرَادَ وَعِنْدَهَا ... كُنْ كَيْفَ شِئْتَ مُجَمَّلاً بِجَمَالِ

وَٱعْكُفْ عَلَيْهَا بِٱلْيَقِينِ وَكُنْ عَلَىٰ ... قَدَمِ ٱلْخَلِيلِ مُنَزَّهَ ٱلآمَالِ

وَسِوَاهُ فَٱجْعَلْهُ عَدُوَّكَ قَائِلاً ... مَا قَالَهُ بِتَيَقُّنٍ وكَمَالِ

ذُقْ سِرَّ ﴿إِنَّهُمُو عَدُوٌّ﴾ تَدْرِ مَا ... فِيهَا مِنَ ٱلأَسْرَارِ لِلأَبْطَالِ

وَٱسْتَثْنِ رَبَّكَ وَاحِدًا أَحَدًا تَرَىٰ ... مِنْهُ ٱلْقَبُولَ وَتَشْهَدَنْ إِقْبَالِي

لاَ يَشْغَلَنْكَ وَصْفُهُ أَوْ حُسْنُهُ ... فَٱلْكُلُّ غَيْرٌ يَا أَخِي فِي ٱلْحَالِ

ٱلذَّاتُ مَقْصِدُ فَرْدِهَا لاَ غَيْرَهَا ... وَٱلْكُلُّ أَعْدَاءٌ لَهُ بِمَقَالِ

فَإِذَا صَفَا صُوْفِي دَنَا مِنْهَا بِهَا ... وَبِهَا تَدَلَّىٰ مُشْرِقًا كَمِثَالِي

الإفراد والتفريد

متى أفردت قصدك العلى، قصدك لأجله كل شئ، فإياك عند هذا الحال أن تلتفت، فإن من التفت لفتة افتتن، وما قصدك كل شئ للحقائق التي أنت هي اتحادا، وإنما قصدك للأنوار التي تفضل الله بها عليك إمدادًا، وما دمت موجها وجهك شطر قدسه اصطنعك (يا أخي) لنفسه، ومتى اصطنعك لنفسه، واجهك بالأنوار التي تسترك عن الآيات والآثار، فشهدك العالون مشرقة فيك أنواره، لائحة فيك أسراره، فاحتفظ بالإفراد لتفوز بالتفريد، ولا يلتبس الأمر عليك من خلق جديد، فإنما هو الأزل، شئون يبديها ولا يبتديها، فرد الأبد إليه، وأقبل بكليتك عليه، تكن ممن فاز بالحظوة لديه.

صِحَّةُ ٱلتَّفْرِيدِ قَصْدٌ فِي ٱلْوِصَالْ ... بَعْدَهُ ٱلتَّوْحِيدُ كَشْفٌ لاَ ٱنْفِصَالْ

بَيْنَ تَفْرِيدِي وَتَوْحِيدِي أَنَا ... هَيْكَلُ ٱلرَّبِّ وَبَدْئِي كَٱلْمَآلْ

عَوْدَتِي لِلْبَدْءِ فِي رَسْمِي ٱلدَّنِي ... فِيهِ تُجْلَىٰ لِي ٱلْحَقَائِقُ لاَ خَيَالْ

يَسْتُرُ ٱلْبَدْءُ بِأَنْوَارِ ٱلصَّفَا ... ظِلَّ هَٰذَا ٱلْكَوْنِ حَالاً بَعْدَ حَالْ

مَشْهَدِي فِي ٱلْكَوْنِ وَٱلْبَدْءُ جَلِ ... مَشْهَدِي فِي ٱلْآنِ فِي قَوْسِ ٱلْمَثَلْ

صِحَّةُ ٱلتَّوْحِيدِ فِي ٱلتَّفْرِيدِ أَنْ ... أَشْهَدَ ٱلتَّفْرِيدَ حَجْبًا أَوْ ظِلاَلْ

أَثْبَتَ ٱلتَّوْحِيدُ رُتْبَةَ أَوَّلِي ... مَنْ أَنَا عَبْدٌ لِرَبٍّ مُتَعَالْ؟!

يَسْتُرُ ٱلتَّفْرِيدُ رُتْبَتِيَ ٱلَّتِي ... أَظْهَرَ ٱلتَّوْحِيدُ مَعْنَاهَا ٱلْمِثَالْ

كُنْتُ فِي ٱلتَّفْرِيدِ تُخْفَىٰ رُتْبَتِي ... ظَاهِرِي نُورٌ بِكُنْتُ ضِيَا ٱلْجَمَالْ

أَظْهَـــرَ ٱلتَّوْحِيـــدُ لِـــي مَنْزِلَتِـــي صِرْتُ عَدَمًا فِي وُجُودِي بِٱتِّصَالْ

لِـــي فَنَـــاءٌ فِـــي بَقَـــاءٍ يَنْجَلِـــي فِيهِ لِي ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ ٱلْكَمَالْ

رُتْبَةُ ٱلتَّفْرِيدِ وَصْـــلٌ فِـــي ٱلْفَنَـــا حَضْرَةُ ٱلتَّوْحِيدِ فَصْلٌ لاَ ٱنْفِصَالْ

بَيْنَ تَوْحِيـــدِي وَتَفْرِيـــدِي ضِـــيًا نُورُهُ فِي ٱلْعَبْدِ يُجْلَىٰ لِلرِّجَـــالْ

المعرفة

الوجد والمعرفة

كن واجداً لا متكلفا، وعارفا لا متعرفا؛ فإن التكلف سير، والسير غير، والوجـــد قربة تثبت حبه، والتعرف سلوك، والعارف واصل، وبين المتعـــرف والعارف كما بين السلوك وملك الملوك، فأعط لكل مقام حقه، حتى يرفعـــك الله فوقـــه، أى: المقام، فتفوز بالرقى وتحظى بالمنزل الصديقى- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ (العنكبوت: ٦٩). وقـــال تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (النحل: ١٢٨). قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.(الأعراف٢٠٦) وشتان ياأخي بين من هداه لسبيله، ومن هو معه، ومن جعله عنده.

تَصَوَّرْتُ بِٱلْعِلْمِ ٱلْحَقَائِقَ فِي ٱلْفَصْلِ ... فَلَمْ يَنْجَلِ ٱلْمَعْلُومُ يَمْنَحُنِي وَصْلِي

وَكُنْتُ لَدَىٰ تَحْصِيلِيَ ٱلْعِلْمَ رَاجِيًا ... مُشَاهَدَةَ ٱلْمَعْلُومِ أَوْ رُؤْيَةَ ٱلأَصْلِ

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ عِلْمِيَ شَاغِلٌ ... عَنِ ٱلْكَشْفِ يَحْجُبُنِي بِسُورٍ مِنَ ٱلظِّلِّ

إِلَىٰ أَنْ تَجَلَّى ٱلْوَصْفُ لِي بَعْدَ حَيْرَتِي ... يُشِيرُ إِلَى ٱلْمَعْلُومِ بِٱلْحَالِ لاَ ٱلْفِعْلِ

فَهَاجَرْتُ مِنْ عِلْمِي بِعِلْمِي مُسَارِعًا ... إِلَىٰ حَضْرَةِ ٱلْمَعْلُومِ مُلْتَمِسًا نَيْلِي

فَشَاهَدْتُ عِلْمِي لِي أَلاَحَ حَقَائِقًا ... لَهَا ٱلْعِلْمُ رَمْزٌ لَمْ يُفَكَّ لِذِي عَقْلِ

تَعَلَّمْتُ عِلْمَ ٱلْكَوْنِ، فِي ٱلْكَوْنِ آيُهُ ... وَمَا فَوْقَ تِلْكَ ٱلآيِ يُعْلَمُ بِٱلنَّقْلِ

وَمَا ٱلْعِلْمُ إِلاَّ رَسْمُ صُورَةِ مُدْرَكٍ ... وَمَا فَوْقَ غَيْبِ ٱلْغَيْبِ لَمْ يُوحَ لِلْعَقْلِ

لأَنَّ كَمَالَ ٱلذَّاتِ فِي مَجْدِ قُدْسِهَا ... تَعَالَتْ فَلاَ تُدْرَىٰ بِعَقْلٍ وَلاَ نَقْلِ

وَلَكِنَّ أَنْوَارَ ٱلصِّفَاتِ جَمَالُهَا ... لَقَدْ حَيَّرَ ٱلأَرْوَاحَ مِنْ وُسْعَةِ ٱلطَّوْلِ

وَهَلْ عَقْلُ مَخْلُوقٍ يُصَوِّرُ كَائِنًا ... يُمَثِّلُ مَجْدًا قَدْ تَعَالَىٰ عَنِ ٱلْمِثْلِ؟!

تَيَقَّنْتُ أَنَّ ٱلْعِلْمَ حِصْنٌ يُحِيطُ بِي ... عَرَفْتُ بِهِ قَدْرِي فَجُمِّلْتُ بِٱلْفَضْلِ

العلم والمعرفة:

الفرق بين العلم والمعرفة أن العارف لابد وأن يكون محصلا للعلم قائما بموجبه ومقتضاه، فلا يبلغ درجة المعرفة عندنا إلا من كان عالما بالله وبأيام الله وبأحكام الله وبحكمة أحكامه، وسلك طريق الله تعالى فعرف آفاتها وقواطعها وعرف نفسه ونقائصها وأمراضها، فأقبل مجاهدا لها، فصار ذا حال مع الله تعالى تشهد له بمعرفته. والعارف بربه عندنا عالم زاده الله علما فعرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم صدق في معاملة الله تعالى وأفرده سبحانه عزما وقصدا، ثم تجرد من فساد

الأخلاق ونجاسة الأطماع حتى صار صابرا بالله صابرا مع اله صابرا في الله راضيا عن الله، حتى جمله بلباس التقوى وأقامه بدلا من أبدال الرسالة، داعيا إلى الله على بصيرة، مقتبسا من نور سنة رسول الله ﴿**ص وآله**﴾ وهدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، غير واقف عند آراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم وأقيستهم العقلية، لأن الكتاب والسنة هما الحجة البالغة يحكمان على ما سواهما فالعارف جعل الله له نورا نظر به، والعالم حصل العلم فهو في حاجة إلى تحصيل علوم الرعاية التي بها حسن المعاملة والمراقة والقرب من الله تعالى.

الحضور والأنس

من تحقق أن أسماء ربه كلها حسنى، دام أنسه بربه، وإنما يشهد هـذا الغيـب المكنون بقلبه.

الحضور الذى تدعو إليه المقتضيات، يجذب إلى شهود الآيات، والحضور الذى هو بالحق للحق، هو الحضور الذى يستر معالم الخلـق ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥).

الأنس حال من مقام المحبة، لا تجعل فى القلب لغير المحبوب حبه، وهو إما أنس استغراق، أو أنس إطلاق، والآنس المستغرق محمول، والآنس فى مقـام الإطـلاق مسئول، وشتان بين محمول على نجب العناية، ومسئول فى مقام الولاية، وللأنـس دلال فى مقام الوصال، اقتضاه الأنس على بساط الباسط، لأنه مجـذوب العنايـة، ومخطوف الولاية، تقليده كفر، والأدب لديه شكر، والبرزخ الحاجز بـين أنـس الإغراق وأنس الإطلاق دقيق جدًا، لا يعلمه إلا العلماء بالله.

فكن وسطا فى الحالين، والزم الأدب فى المقامين، واجعل بسطك التملق بـين يدى الباسط، وأنسك الخشوع بين يدى الظاهر، وفرحك بنيل القبول منه، وإقباله عليك، وانس قرباتك بعد نسيان رغباتك، والله ولى المؤمنين.

حب اللّه

إذا أحبك الله آنسك على بساط منادمته محفوظا من البسط معه، وجملك بمـا يحبه، وواجهك بجماله حتى تحبه، فكان حبه لك جاذبك إلى حضرته، وحبك إياه حافظا لك من سوء الأدب فى معيته. قد يواجهك ليجذبك إليه حال شهودك إياه، وقد يخفى عنك حبه لك ونظره إليك ليشوقك إليه —سبحانه– وهو أقرب إليـك

منك لنفسك، وأنت فيما بين المشهدين راغب راهب حاضر غائب، منكسر القلب رهبة، منشرح الصدر رغبة.

درجات المحبة:

كل كوكب له أفول إلا كوكب حب الله المتوقد فى سويداء القلـــوب، فإنـــه الجاذب إلى علام الغيوب، وبه الوصول.

أحوال المحبة قاهرة وهى الحجة على تحقيقها، ومن أحب هذا الجناب آمن عنه الإياب. إنما يصل إلى الحق الحق، فسارع أن تكون حقا فى مرتبتك بكمال العبدية، وجمال العبودية، وحسن العبادة، ولديها تكون حقا حقا فتتصل بالحق جل جلاله. فأحبه سبحانه، ثم أحب فيه، وأحب ما يحببك فيه، فإنما المراد نيل رضاه.

وأول درجات المحبة: الحب للنعمة، ثم للمنة، ثم لما أظهره فيك ليظهر به لـــك ولغيرك، ثم الحب بالفناء عن ذلك كله تفريدا للقصد وتجريدًا للتوحيد من شـــوب التحديد والتعديد.

معانى المحبة

لفظة المحبة يستعملها الصوفية فى ثلاث معان:

أولا: علامة على وجده فى نيل محبوبه، والميل والهـــوى الـــذى ينســـب إلى المخلوقات، وعاطفتهم على بعضهم التى لا تنطبق على الله سبحانه وهو منزه عـــن مثل هذه الأشياء.

ثانيا: لتدل على إكرام الله وخصوصيته لمن اصطفاهم وقربهم لنيل درجة كمال الولاية، وخصهم بأنواع شتى من كراماته الربانية.

ثالثا: علامة على رضوانه تعالى بفيضه الحق على العبد لثنائه الجميل على ربه الجليل.

إن بعض الفلاسفة يقول: إن محبة الله عرفنا بها تتعلق بالأوصاف التى وردت بها الأحاديث، مثل وجهه ويده واستوائه على العرش، الذى إذا نظرنا إلى حقيقتها من وجهة العقل لظهرت استحالتها لو لم يثبت ذلك القرآن والسنة أنهما من صفات الله تعالى، لذلك فإننا نثبتهم ونعتقد بانتشار المحبة بكل المعانى التى شرحها الله تعالى.

وسأبين لك حقيقة هذه المسألة فأقول:

إن محبة الله للعبد هى سابقة الحسنى التى قدرها له ورحمته عليه، فالمحبة هى أحد أسماء إرادته كالرضا والغضب والرحمة.. وهلم جرا، وإرادته هى صفة قديمة يريد بها ما شاء من أحكامه. وبالاختصار فمحبة الله للعبد هى فى بيان مزيد إكرامه له وإعطائه الجزاء الأوفى فى هذه الدنيا والآخرة، وأنه يؤمنه من العقاب ويحفظه بعيدًا عن المعصية، وإكرامه بالأحوال العالية والمقامات الرفيعة ولفت فكره عن كل ما سوى الله. فإذا اختص الله تعالى أى إنسان بهذه الحالة، فتلك الخصوصية الصادرة عن إرادته تسمى محبة، وهذا مذهب أهل السابقية بل رأى كثير من مشايخ الصوفية، كما أن ذلك مذهب المتشرعين المنتسبين إلى تلك الطائفة، وأكثر أهل السنة متمسكون بهذا الرأى أيضًا.

أما بخصوص إثبات أن محبة الله هى الثناء الذى يعطاه الإنسان على العمل الصالح، وثناء الله تعالى كلام ليس بمخلوق. أما بخصوص إثباتهم أن محبة الله هى الإكرام فإكرامه تعالى صار من أفعاله.

ولذلك ترى أن هذه الآراء المختلفة متقاربة لبعضها الآخر. أما محبة الإنسان لله فهى صفة تثبت نفسها فى قلب أتقياء المؤمنين فى شكل الإجلال والإعظام، حتى يجدَّ فى إرضاء محبوبه فيعجز حتى يصير جزعا وقلقا فى رغبته لرؤية الله، وبذلك لا يرتاح لأى شئ سواه، وينمو معه ذكره ويكره ذكر غيره. فيكون السكون محرما عليه وتفر منه الراحة، فينقطع عن العادات والاجتماعات ويزهد فى هوى نفسه، ويتجه إلى سلطان المحبة ويخضع لشريعتها، ويعرف الله تعالى بصفاته الكمالية، وأنه من المستحيل أن تكون محبة العبد لله مشابهة فى النوع لمحبة الخلق بعضهم لبعض؛ لأن الأولى هى رغبة فى إدراك ونيل المراد، وأما الثانية فهى فى القرب منه، وليسوا كمن يبحثون عن الكيفية، لأن الباحث يقف بنفسه، أما الباذل لنفسه فيقف بمحبوبه. وأصدق المحبين هم الذين يفرحون بموتهم فيه، ويصيرون متهترين؛ لأن الشيء الحادث لا يصل إلى القديم إلا عن طريق قهرمان القديم.

فمن عرف حقيقة المحبة لا يشعر بالعقبات، وتنفك عنه الأوهام، فالمحبة إذا على نوعين: محبة المثل للمثل، وهى رغبة تنفثها النفس الدنية التى تطلب ذات المحبوب، بمعنى النكاح. ومحبة مغاير لمحبوبه، وهو من يطلب أن يكون متحدا بصفة من صفات محبوبه، ألا وهى السمع بلا كلام، والنظر بلا عين. والمؤمنون أهل المحبة على نوعين: قوم اعتبروا نعم الله وإكرامه الواصل إليهم وانقادوا بهذا الاعتبار إلى محبة الكريم، ثم من غلبوا بالمحبة، وهؤلاء يعتبرون كل الكرامات حجاب بينهم وبين الله، وبنظرهم إلى الكريم يرجعون إلى اعتبار النعم، وأهل هذه الطريقة أرقى من الأولى.

أَهْلُ ٱلْمَحَبَّةِ مِنْ ﴿ أَلَسْتُ ﴾ شُهُودَا ... فِيهَا رَأَتْ رُوحِي ٱلْجَمِيلَ وُجُودَا
نَمَتِ ٱلْمَحَبَّةُ وَٱنْجَلَتْ لِيَ شَمْسُهَا ... نُورًا يُرَىٰ فِي ٱلْكَائِنَاتِ جَدِيدَا
ٱلْحُبُّ مِنْ بَدْءٍ تَجَلَّىٰ رَبُّنَا ... وَأَرَى ٱلنُّفُوسَ جَمَالَهُ تَأْبِيدَا

فِي عَهْدِ يَوْمِ ﴿ أَلَسْتُ ﴾ ثَمَّ قَدْ نَمَا ... فَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مُرِيدَا

ٱلْحُبُّ جَذْبَةُ رَبِّنَا بِظُهُورِهِ ... فِي عَهْدِ يَوْمِ ﴿ أَلَسْتُ ﴾ ثَمَّ مُعِيدَا

لَمَّا رَأَتْهُ نُفُوسُنَا هَامَتْ إِلَىٰ ... مَا قَدْ رَأَتْهُ مِنَ ٱلْجَمَالِ رَشِيدَا

وَٱلْحُبُّ فِي ذَا ٱلْكَوْنِ لِلَّهِ ٱلْعَلِي ... حُبٌّ لِجَمْعِ قُلُوبِنَا تَأْكِيدَا

فَنُحِبُّ مَنْ جَمَعَ ٱلْقُلُوبَ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ... وَنُحِبُّ مَنْ نُعْطَىٰ بِهِ ٱلْمَقْصُودَا

لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ لِلْمُصْطَفَىٰ ... مَنْ جَاءَنَا بِٱلنُّورِ يُعْطِي ٱلْجُودَا

يَاخَيْرَ خَلْقِ ٱللَّهِ جِئْتَ بِنِعْمَةٍ ... عُظْمَىٰ قُرَآنُ ٱللَّهِ لَيْسَ جَدِيدَا

جَمَّلْتَ أَنْفُسَنَا بِنُورٍ مُشْرِقٍ ... أَوْلاَهُ رَبُّكَ ظِلَّهُ ٱلْمَمْدُودَا

عِشْقُ ٱلْقُلُوبَ لِرَبِّهَا مِنْ بَدْئِهَا ... لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهَا مَشْهُودَا

قَدْ خَصَّنَا بِٱلْحُبِّ فِيهِ إِلَٰهُنَا ... وَعَدُوُّكَ ٱلْمَمْقُوتُ صَارَ بَعِيدَا

لَوْلاَكَ يَاخَيْرَ ٱلْوُجُودِ لَمَا رَأَتْ ... مِنَّا ٱلْقُلُوبُ جَمَالَهُ تَوْحِيدَا

يَافَاتِحَ ٱلْبَدْءِ ٱلْقَدِيمِ وَخَاتَمَ ٱلْـ ... ـأَفْرَادِ جِئْتَ مُؤَبَّدًا وَفَرِيدَا

لَوْلاَكَ لِمْ تُشْرِقْ لَنَا شَمْسُ ٱلْهُدَىٰ ... لَوْلاَكَ لَمْ نُجْذَبْ إِلَيْكَ وُرُودَا

زَكَّيْتَ أَنْفُسَنَا بِعِلْمٍ إِلَٰهِنَا ... وَٱلْقَلْبُ قَدْ عَمَّرْتَهُ تَجْدِيدَا

يَافَرْدَ ذَاتِ ٱللَّهِ أَنْتَ شَفِيعُنَا ... كَيْمَا نَرَى ٱلرَّبَّ ٱلْعَلِيَّ وَدُودَا

يُحْيِي ٱلشَّرِيعَةَ يَمْنَحُ ٱلْحُبَّ ٱلَّذِي ... نَحْيَا بِهِ فَنَرَى ٱلْوَلِيَّ رَشِيدَوالقلب

الفصل السادس:

الجواذب

إنما هى جواذب حب تقطع القلوب إلى علام الغيوب، وبواعث مجانسة لعالم الطهر تنزع بالنفس إلى ممتدها، فإذا سطعت ساطعة المواجهة بعد المقابلة إختطف اختطاف الاصطناع فتجرد مما يقتضيه هيكله من الدواعى، فصار فى رسمه المحاط بسور الكون فوق الثرى كأنه مشرف على القدس مرتفع على الملكوت مما لا يناله المجاهد إلا بعد أن يموت.

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس: ٢٦). وإذا اصطنعه الصانع الحكيم، ارتسم على جوهر نفسه صورة المعلوم بكمال فوق ما يعلمه العالمون الراسخون الربانيون.

تلك الصورة تكون معالم بين عينيه لا يغيب إذا غاب الغافلون ولا ينسى إذا نسى من هم فى سور الإنسانية لاهون، وهذا مقام فوق عين اليقين، سر التمكين بعد التعيين ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (الصافات: ١٦٤). واصطناع أهل القرب فوق اصطناع أهل الحب، وهو قبس من اصطناع الرسل صلى الله عليهم وسلم. وإنما نتكلم عن الأفراد المحبوبين ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٥).

وللتلوين منازلات قبل المقابلات يحلو فيه الجمع بعد الفرق ويلذ فيه الفناء بعد البقاء، وطوبى لمن بلغ هذا المقام على يد المرشد، فإن السالك إذا منح هذا المقام

بمجاهدة من غير مرشد كامل شطح فتاه فى وادى التيه ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ٧٣).

فإن السالك فى مقام الربوبية هداه بالمرشد حتى يتجاوز هذا المقام إلى حضرة الألوهية، لديها يكون الهدى هدى الله تعالى، ويكون رسم هذا المواجه لوحا محفوظا لقرآن الحقائق ورقا منشورا لآيات الحكيم القادر، إن الله هو الولى- هذه الكلمة هى كتر المصطنعين، وطهور المصطفين، بسر ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢). ولديها: فالمتمكن فى مقامات اليقين هو الذكر والمذكور والذاكر عند الرعاية، وهو العبد المذكور عند الرعاية فى مقام العيان. ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ (الأنعام: ٩١). ولأهل المحبة بعد العيان بيان وقفت الروح فيه عند ظل السدرة، لو تجاوزت لاحترقت فيه حضورًا لا غيبة، وقربا لا حجابا ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الأنعام:٣). وقد تجاوزت بى حدك، فالزم أدبك- ياجهول - وللسالكين نشوة رغبة وخوف إطالة فى السلوك ترمى بهم إلى شهود الآيات بعد البينات، ولحظ أنوار الملكوت بعد طهرة الناسوت، وقبس غيب من الصفات بعد ستر الجهات. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨).

ولأهل مقام التوبة عند الخوف حوبة، وعند شميم الوسعة طمع تحيا به قلوبهم وتلين به جسومهم، وهو اللبن الذى يسقيه ربك للنشاط فى الأعمال، وللوارث فى صفاته نفائس يتحف بها أهل المقامات العالية، فتضمحل فى نظرهم الآيات، فإذا أفاقوا جنوا، وإذا فقدوا أنوا. ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩).

الجواذب ثلاثة

جذبة العرفان وجذبة المراقبة وجذبة العيان

أولا: جذبة العرفان

مبدؤها: صحبة العارف.

ووسطها: استغراق كلية القلب فى محبته.

ونهايتها: دخوله فى قلب العارف، فينظر الله إليه.

ثانيا: جذبة المراقبة:

فتشرق عليه معانى الصفات، فتحصل له المراقبة.

ثالثا: جذبة العيان:

فإذا راقب معانى الصفات أشرقت عليه معانى بدئه قبل نشأته الأولى، ولـــديها يزول البين عن البين، وتقع العين على العين، وهى جذبة العيان.

المجذوب الوارث والمجذوب المقتطع

فإذا جمل بحلل الوراثة نطق بالحكمة ورجع إلى الخلق وسيلة للحق بدعوة عباده إليه.

وإن اقتطعته أنوار القدس غاب عن الشهود بعد إثبات الوجود الحق، ومات فأحياه الله، فكان مع الله والله معه، واقفا على الأعراف ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف: ٤٦)، وهو المجذوب المتقطع، والمطلوب المنتفع.

والوارثون قليلون لأنهم فى مقام الإصطفاء.

والمقتطعون كثيرون لأنهم فى مقام الإجتباء.

وشتان بين من نفعه الله ونفع به، وبين من ضاق ماعونه عن الأنوار فعمت ظاهره، فدك طوره وصعق و لم يفق.

الفصل السابع:

النجائب الروحانية

الإقبال والقبول

المقبلون كثيرون، والمقبولون قليلون.

وعلامات الإقبال تفريد الحق بالقصد دون غيره، ومن لم يتمرن على التفريد فى بدايته، قل أن يفرده فى نهايته..

وفاتحة التفريد تفريد المرشد بالقصد، بأن يجعل كل شئ وسيلة، ليدخل فى قلبه، ليفوز بحبه.

بين أهل الصفا وأهل الوفا برزخ المجاهدة، فأهل الوفا يجاهدون أنفسهم ليتكملوا، وأهل الصفا يجاهدون أرواحهم لترحم بقية قواهم، فأهل الوفا يجاهدون العدو، وأهل الصفا يجاهدون الحبيب، فالمجاهدة لابد منها.

إذا أقبل الله عليك، فرغ قلبك له، فإن التفت إلى غيره أدبك فيه، واحذر أن تلتفت، ولا إلى (كن) فإن الحبيب غيور، وأنواره سفور، والالتفات إلى سواه غرور.

أعاذنا الله بوجهه الكريم من الالتفات إلى غيره.. آمين.

معارج القبول

إذا حججت فلبه لترى أثر أنبيائه، فكن فى مقام خليله جسما أو روحا، ثم حج بقلبك لترى آثار ربك، وليس من هاجر ليرى آثار الأنبياء كمن ساح ليرى آثار الرب جل وعلا ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل: ٥٣). زن نفسك

بقدر نيتك لا بقدر عملك، فإن الأعمال لا توزن عند الله، وإنما توزن القصود والهمم، واعلم أن أعمال القلوب وارد علام الغيوب، وأعمال الجوارح قد تكون لداعى الحظ أو لباعث الشهود، وهم آل العزائم القبول، وإنما الإقبال سبب لا علة، وكم من مدبر مقبول، وكم من مقبل مفصول.

حكم الأزل منفذ أبدا وإن تغيرت مقتضياته، فإذا شهدت سر القدر حفظك الله من الحد، وإنما الإقبال إقبال القلوب، وإنما الجوارح آلاتها، والشأن كل الشأن تصحيح النية، ومعراج الأعمال الإخلاص، وكمال الإخلاص الفناء عنه مع التحقيق به.

الفناء والبقاء

الفناء: هو العجز عن إدراك العبودية. والبقاء: دوام مشاهدة الألوهية.. يعنى أنه من النقص أن تتيقظ لأعمالك وأنت قد بلغت الرشد، فإذا لم تدرك ذلك كنت فانيا عن مشاهدتها، وصرت باقيا بمشاهدة فعل الله تعالى، وبذلك تنسب كل أعمالك لله لا إلى نفسك، وحيث إن الإنسان إذا انتسب إليه كان ذلك نقصًا، فتكون الأشياء التى ينسبها الله تعالى للإنسان كمالا، لذلك كان من فنى عن الأشياء المنسوبة إليه باقيا بجمال الله تعالى.

وحقيقة العبودية واقعة بين الفناء والبقاء؛ لأنه لا يمكن أن يخلص فى عبادته لمولاه – عز وجل– إلا بعد أن يزهد فى صوالح نفسه وحسه، ولذلك كان التخلص من آدميته هو عين الفناء، والإخلاص فى العبودية هو البقاء، ولذا قيل: علم الفناء والبقاء راجع إلى الإخلاص والواحدية والعبودية الحقة. وكل ما عدا ذلك فهو ضلال وبهتان.. بمعنى أن الإنسان إذا أقر بوحدانية الله – تعالى – يشعر بأنه مقهور بجبروت الله تعالى، ومن كان مغلوبا يكون فانيا فى جلال الغالب، وإذا وفى بكل

شروط فنائه، اعترف بضعفه، ولا يرى مددًا له إلا فى عبادة الله تعالى، ومجاهدته لنفسه لنيل رضوانه، ومن عبر عن هذه الألفاظ بغير ذلك، يعنى أن الفناء هو فناء المادة، والبقاء هو بقاء الله تعالى فى الإنسان، كان ضالا، ومحرفا نصرانيًا.

إن كل هذه التعريفات متفقة فى المعنى، ولو كانت مختلفة فى اللفظ، وخلاصتها أن الفناء يتحقق للإنسان، بعد مشاهدة جلال الله، وبعد انكشاف جبروته لقلبه حتى فى حيرته عن إدراك جلال الله، وتمحى الدنيا والآخرة فى نظره، وهنا تظهر الأحوال والمقامات له بمظهر حقير، لدهشته مما يشهده له من الكرامات، وعندها تذهب جفوته، ويكون ميتًا بالنظر إلى عقله وهواه، ميتًا عن فناء نفسه، وإنه فى حالة فناء فنائه، لا ينطق لسانه إلا بالله، فيكون عقله قاصرًا، وجسمه عاجزا، كما كان أولا، عندما أخذ الله العهود لذرية آدم، قبل أن يختلفوا بالشيطان، وأقروا بعبوديته.

هذه هى أصول الفناء والبقاء، وقد تكلمت عنها، فراجع ذلك تجد المزيد، وإذا خلونا حلونا.

بِٱلْفَنَا حَالٌ بِهِ ٱلصَّحْوُ مَقَامْ ... بِٱلْفَنَا فِي ٱلصَّحْوِ قَدْ نِلْنَا ٱلْمَرَامْ
مَنْ يَكُنْ فِي صَحْوِهِ لَمْ يَشْرَبَنْ ... خَمْرَةَ ٱلْحَانِ فَفِي دَوْرِ ٱلسِّقَامْ
وَٱلْفَنَا مِنْ صَحْوِهِ خَطَرٌ نَعَمْ ... كَيْفَ يَمْشِي ذُو ٱلْقَوَائِمِ فِي ٱلظَّلَامْ؟
لَمْ يَزَلْ صَحْوِي ٱلْفَنَاءَ لِأَنَّنِي ... بِٱلْوُجُودِ ٱلْحَقِّ صَحَّ لِيَ ٱلْقِيَامْ
بَيْنَ صَحْوِي وَٱلْفَنَا غَيْبٌ عَلاَ ... عَنْ عُقُولٍ لَمْ يُهَذِّبْهَا ٱلْغَرَامْ
فِي ٱلْفَنَا بَدْئِي شُهُودِي ظَاهِرٌ ... أَشْهَدُ ٱلْقَادِرَ يُقْرِئُنِي ٱلسَّلاَمْ
حَيْثُ وَٱلإِيمَانُ يَجْذِبُنِي بِهِ ... فَٱقْرَإِ ٱلآيَ فَقُلْ وَدَعِ ٱلْمَلاَمْ
مَنْ يَجِيءْ مُسْتَسْلِمًا وَمُصَدِّقًا ... يُمْنَحِ ٱلرَّحْمَةَ فِي حَالِ ٱلْمَقَامْ

لِـــي فَنَـــاءٌ فِـــي بَقَـــائِي ظَـــاهِرٌ ... لِلتَّقَـــرُّبِ بَـــاطِنِي نُـــورُ ٱلْهُيَـــامْ
وَٱلْفَنَـــاءُ مُلاَحَـــظٌ فِـــي بَـــاطِنِي ... وَٱلْبَقَا ٱلتَّثْبِيتُ فِي نَـــصِّ ٱلْكَـــلاَمْ
لِي وُجُـــودٌ فِـــي فَنَـــائِي مُشْـــرِقٌ ... بِٱلضِّيَا ٱلْقُدْسِيِّ إِنْ صَحَّ ٱلْمَقَـــامْ
لِي وُجُودٌ فِي بَقَـــائِي صَـــحَّ لِـــي ... فِيـــهِ تَعْيِينـــي بِمَرْتَبَـــةِ ٱلرَّغَـــامْ
عَيَّنَ ٱلْحِكْمَةَ صَـــحْوِي فَٱنْجَلَـــتْ ... قُـــدْرَةُ ٱلْقَـــادِرِ لِـــي لاَ بِٱللِّثَـــامْ
أَشْرَقَتْ شَمْسُ ٱلْحَكِيمِ بِـــلاَ خَفَـــا ... لاَحَ لِي ٱلْقَادِرُ فِي غَيْبِ ٱلْغَمَـــامْ
قَـــادِرٌ وَهْـــوَ ٱلْحَكِـــيمُ تَنَزَّهَـــتْ ... ذَاتُهُ عَـــنْ كُـــلِّ نِـــدٍّ وَٱنْقِسَـــامْ
قُدْرَةٌ تُخْفِـــي وُجُـــودِي بِٱلضِّـــيَا ... حِكْمَةٌ قَدْ أَوْجَبَتْ خَوْفَ ٱلْمَقَـــامْ
سِرُّ سَيْرِي فِي ٱلْحَقِيقَـــةِ غَـــامِضٌ ... فَوْقَ قَدْرِ ٱلْعَقْلِ مِنْ قَبْلِ ٱلْمُـــدَامْ
رَاحُ قُدْسٍ أَسْكَرَتْ مَنْ خُصِّصُـــوا ... مِنْ﴿أَلَسْـــتُ﴾بِٱلْعِنَايَةِ وَٱلسَّـــلاَمْ

فناء الصادقين وفناء الكاذبين

لا تزول البشرية، وزوالها حصول البلية لأن بها الجهاد فى سبيل الله، ولولاها لما امتاز الإنسان من عالم الروحانيين، قـــال الله تعـــالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٥).

فناء الكاذبين مخالفة أمر الحاكم سبحانه مع قيام البشرية مقتضـــى ولازمـــا، والإمام فى هذا إبليس فنى كاذبا فترك الأمر مجانباً، أما فناء الصادقين فالقيام بالأمر مسارعة إلى السمع والطاعة والفناء عنه بنسبته إلى الموفق المعـــين الموجـــد الممـــد سبحانه، حتى لا تشهد المنة من العامل فيستكثر عمله، قـــال الله تعـــالى: ﴿فَلَمْ

﴿ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ (الأنفال: ١٧). فأفناهم عن شهود نسبة العمل إليهم بعد أن تفضل سبحانه عليهم بالإحسان بالقيام به، فهم العاملون كما أمر، الفانون عن نسبته إليهم كما أحب منهم وطلب، وإمامهم رسول الله ﴿**ص وآله**﴾ كان يستغفر الله صلوات الله وسلامه عليه ليستر عنه العمل بعد قيامه به، ليفنى عنه ﴿**ص وآله**﴾ لكمال تحققه بحقيقة التوحيد- قال الله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر: ١٠).

وهو الفناء عن نسبة العمل إلى العامل بعد القيام بالعمل كما أمر سبحانه.

ومن ترك الأمر وظن أنه فان بترك الأمر وشعر بألم الجوع والعطش فهو شيطان الإنس اقتدى بشيطان الجن. وأهل الفناء هم أهل الكهف الذين مكثوا بضعا وثلاثمائة سنة فانين عن البشرية ولوازمها، مستغرقين فى شهود التوحيد بالتوحيد.

ومن ادعى الفناء فترك الأمر والنهى كان ممن شنع الله عليهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٨).

رزقنا الله السمع والطاعة لأمره جل جلاله والفناء عن نسبة الأعمال لنا بعد القيام له بها مخلصين له الدين يا رب العالمين، ونعم الفناء طريق المخلصين من أولياء الله الموقنين ولكنه ترك ليس للسالك أن يترل فيه إلا بعد معرفة طريقين: الخبرة به، والسير فيه، والله الموفق للصواب.

الوجد والوجود

لا التواجد والتقليد

الأعمال إما جسمانية، وإما روحانية، وإما مزدوجة، وقد بينت تفصيل هـذا الإجمال فى كتاب (النور المبين)[1] فراجعه فى موضعه إن شئت. ولكنى أبين هنا أن الأعمال البدنية يجب فيها التقليد، فإنها توقيفية، بنص قوله ﴿ص وآله﴾ (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) [رواه البخارى والدارمى وأحمد]. أما الأعمال الروحانية فالناس فيها أقسام، وقد بينت ذلك فى كتاب (معارج المقربين)[2] عند تفصيل العلم والإيمان والواجب على المسلم أن يصدق من هو فوقه فى العلم فيما أخبره به قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦). ثم بعد تصديقه إن كان من أهل الاستعداد النفسانى، نظر فأبصر، وفكر فذكر، وذكر فحضر، فالتقليد له غير مباح، بل الواجب عليه أن لا يتشبه بأهل المقامات العلية قبل صفاء جوهر النفس، فإن تشبهه بهم فى الأعمال الروحانية القلبية مهلك له، وذلك لأن الواجد ليس كالفاقد، فللواجد مقتضيات اقتضاها واجب وقته وصريح كشفه، فقد يقتضى وقته فى شهود معانى الربوبية وأنوار الألوهية، تجذبه تلك المعانى من لوازم بشريته ومقتضيات آدميته وبواعث إنسانيته، حتى يشرف على الملكوت، وكم من سيد من أبناء الملوك خرج فارا إلى الله، وصار يكتسب من أدنى المهن خفاء لحاله: كإبراهيم بن أدهم، وبهلول، وأحمد الرفاعى الشهير وغيرهم رضى الله عنهم، وكم من غارق فى كبائر الذنوب وقبائح الفواحش جذبته تلك الجواذب الإحسانية

---

(١) ،(٢)يطلب جميع تراث الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام من (دار الكتاب الصوفي)، إحدى أوجه نشاط الطريقة العزمية.١١٤شارع مجلس الأمة-القاهرة.

فأصبح والملوك تقبل يديه: كالفضيل بن عياض، ومعروف الكرخى، وغيرهما رضى الله عنهم، وكم.. وكم.. مما لا يحصى، وقد بينت أحوالهم فى تراجمهم، وهى صولة الحق تصدم العبد فتخرجه منه إلى ربه، ولا ينكر عليهم فى هذا الحال مادام حالهم عن وجد ووجود إلا عمي الطرف جهول، أبعدته سابقة السوءى عن مشاهدهم العلية، وحجبه حرمانه من العطايا الإلهية عن التسليم لأحوالهم المحمدية، ومواجيدهم عن عين أو حق اليقين، إنما أنكر على السالكين أن يتكلفوا تلك الأحوال العلية، وأن يقلدوا أهل المقامات السامية من غير وارد يرد من الحق جل جلاله، ولا وجد يجدونه، ولا خروج من البشرية، ولا تخلية للنفس من نجاساتها، ولا تزكية لها من لقسها، فترى المريد يميز بين الكثير والقليل، والحلو والمر، وماله وعليه، يتبع هواه ولو خالف الشريعة، ويطيع شحه ولو دعاه إلى باطل، ويعجب برأيه ولو كان مخالفا لصريح كلام الله تعالى وكلام رسوله ﴿**ص وآله**﴾ ، يعادى من أنكر عليه، ويؤذى من نافسه فى عرض الدنيا.

وهذه المعانى كلها ليست من صفات أهل البداية فضلا عن أن يتصف بها أهل السلوك، فكيف يصح أن تكون أخلاقا لأهل المقامات العالية ممن أحبهم الله وصافاهم...

ترى الرجل منهم يترك ما أوجبه الشرع ويظهر أن ذلك وجد، وأنه مأخوذ وليس مكلفا، ويسارع إلى ملء بطنه، وإلى نيل عاجل فان يغضب إذا حرمه، ويدعو على من منعه منه.

هذا الذى أنكره، وينكره أئمة أهل طريقنا هذا، وإلا: فالوجد الصادق، والوجود الحق، قد يطفئ نار البشرية، حتى يحصل الإصطلام المحرق والحال المزعج،

فيخرج الواجد هائماً على وجهه فى البرارى، فاقدا مراده وحسه، فترى بعضهم يسكن الكهف مع السباع والوحوش غير شاعر بأنها مسلطة عليه، لغلبة وجده.

وفى قصة سحرة فرعون ونسوة يوسف عليه السلام أسطع برهان على أن الوجد الصادق يهدم أسوار البشرية ويخمد نيرانها، حتى لا يكاد الإنسان يشعر بفادح الآلام ولا بشديد الأسقام، بل ولا بتصليبه فى جذوع النخل، أو بقطع أعضائه بيده، وهذا هو الوجد الصادق حقا، ولا يلوم على أهله إلا من حرم الفيض الأقدس، وسلب القوى البشرية والميزة الآدمية والفضائل الإنسانية، فصار كالأنعام بل أضل سبيلا، ومن كان أضل من الأنعام كيف يسلم أحوال أهل الإنعام؟! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فعلى المريد طالب الحق أن يقلد المرشد فى أعماله الجسمانية بأكمل معانيها، وأن يجاهد نفسه الجهاد الأكبر، حتى يخرج من عوائده، ويتطهر من نجاسات أخلاقه، ويتخلى من قاذورات أطماعه، ويتزكى من ظلمة طباعه، حتى يكون أخرجه الله وأدخله الله قال تعالى: ﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٠).

والدخول والخروج فى الطريق إنما هو خروج من صفات إلى صفات، ومن أخلاق إلى أخلاق، ومن فطر مشنع عليها إلى فضائل مرغب فيها، ذلك يكون كيف كان فإنه على الحق، ومن كان على الحق وبعد — وإن عاداه الخلق — يؤول أمره لأن يسود الدنيا فى الدنيا والآخرة، فإن الباطل يزهق بمجيء الحق. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لَوْلاَ شُهُودُ وُجُودِي ... لَمْ يَحْلُ لِي تَوْحِيدِي
فِيهِ يَصِحُّ بَقَائِي ... فِي حَضْرَةِ ٱلتَّفْرِيدِ

كَشْـــفٌ صَـــرِيحٌ بِمَعْـــنَىٰ ... جِهَـــادِيَ ٱلتَّجْرِيـــدِ
يَصْـــفُو شَـــرَابِي إِذَا مَـــا ... أَحْـــيَىٰ وُجُـــودِي شُـــهُودِي
أَخْفَـــىٰ عَـــنِ ٱلْعَقْـــلِ لَـــٰكِنْ ... تُـــبْدِي ظِلاَلِـــي عَدِيـــدِي
لَـــمْ يُشْـــهَدَنْ نُـــورُ قَـــدْرِي ... إِلاَّ لِفَـــرْدٍ وَحِيـــدِ
ظِلِّـــي يُـــرَىٰ لِعُقُـــولٍ ... قَـــدْ حُجِّبَـــتْ بِـــٱلْقُيُودِ
لَـــوْلاَهُ لَـــمْ يُـــبْدَ مِنِّـــي ... إِلاَّ ضِـــيَاءُ ٱلْحَمِيـــدِ
نُـــورُ ٱلْوُجُـــودِ عَلِـــيٌّ ... مَـــرْأَى ٱلْفَتَـــى ٱلْمَحْمُـــودِي
لَـــمْ أُشْـــهَدَنْ فِيـــهِ إِلاَّ ... مَعْـــنَىٰ جَمَـــالِ ٱلْـــوَدُودِ
يَخْفَـــىٰ عَـــنِ ٱلْعَقْـــلِ سُـــورِي ... لَـــمْ يَظْهَـــرَنْ لِبَعِيـــدِ
سِـــرُّ ٱلْوُجُـــودِ خَفِـــيٌّ ... عَـــنْ حَـــيْطَةِ ٱلتَّحْدِيـــدِ
نُـــورٌ أَضَـــاءَ بِـــأَزَلٍ ... مِـــنْ غَـــيْرِ لَـــبْسٍ جَدِيـــدِ
هٰـــذَا جَمَـــالُ وُجُـــودِي ... يَـــبْدُو لِخَـــيْرِ ٱلْعَبِيـــدِ
فِيـــهِ أَكُـــونُ مُـــرَادًا ... لِشَـــاهِدٍ مَشْـــهُودِ
وَٱلْوَجْـــدُ بَـــدْءُ سُـــلُوكِي ... رَاحُ ٱلصَّـــفَا لِمُرِيـــدِي
خَمْـــرٌ طَهُـــورٌ أُدِيـــرَتْ ... مِـــنْ مُـــنْعِمٍ وَمَجِيـــدِ
صَـــلِّ إِلَـــٰهِي عَلَـــىٰ مَـــنْ ... وَافَـــىٰ بِخَـــيْرِ ٱلشُّـــهُودِ

الصفاء والاصطفاء

الصفاء الروحانى معراج إلى الاصطفاء الإلهى وبراقه المحبة، فمن أرسل الله لـه البراق اصطفاه للتلاق، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ (الحديد:٢٩).

إذا أحببت أن تصطفى لنفسك الصحبة بعد رسول الله ﴿ص وآله﴾ فاصطف أشبه الناس به ﴿ص وآله﴾ ، لتنال معيته إن لم تحظ بعنديته، وإلا فاصطف من لا يصطفى غيره ﴿ص وآله﴾ . إذا صحبت أشبه الناس برسول الله ﴿ص وآله﴾ فاحفظ موازين الشريعة معه وسلم له بعد المحافظة عليه ما لم يدركه عقلك، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٥١).

ولك يا أخى فى نفسك أدب آخر وهو أن تأخذ بالعزائم وإن رحمك فكلفك بالرخص، فإن عنايته بك ترفعك فى قلبه مكانا عليا، فأعط للمقام فى قلبه حقه وإن لم يطالبك هو به؛ فإن ذلك من شأن المتقين- قال تعالى: ﴿طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ (طه: ١-٢)، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وقال سبحانه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). فمن أرسله الله رحمة للعالمين فالله تعالى أرحم به من نفسه، ولكنه ﴿ص وآله﴾ مع هذا كان أكمل الناس شكرا لله، وأنت تعلم أن الشكر عمل. ومن اقتطف من رياض سيرته ﴿ص وآله﴾ ثمار قوت الأرواح، تعلم قدر معاملة المحبوب الأكبر لحبيبه سبحانه وتعالى.

الغيبة والحضور

أغمض عينيك عن نفسك وعن كل غير الله تعالى، فإنك فى هذا المقام تحترق صفات آدميتك بنار القرب من الله، وهذا هو مقام حال الغيبة الذى أخرجك به

الله من ظهر آدم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ (الأعراف: ١٧٢). وأهَّلك لسماع خطابه المقدس، وخصَّك بلباس التوحيد، وحلة المشاهدة، وكلما كنت غائبا عن نفسك، كنت حاضراً مع ربك وجها لوجه، لكن إذا حضرت مع صفاتك، كنت غائبا عن معية الله تعالى، وحيث كان ذلك كذلك، فحضورك هلاكك، وهذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ (الأنعام: ٩٤).

والمتمكن يرى أن الغيبة والحضور، اصطلاح لمقامين، ولو اختلفا لفظا، إلا أنهما اتحدا معنى من كل الوجوه، فالحضور هو حضور القلب، ليكون علامة على اليقين، حتى يكون ما هو غيب محض عنه، فى قوة ما هو مشاهد له، والغيبة هى غيبة القلب عن كل ما سوى الله تعالى، حتى يكون غائبا عن نفسه، وغائبا عن غيبته، وبذلك لا يعتبر نفسه. وعلامة ذلك حال صادق لا يخرجه عن حكم الرسوم، فهى فطرته، وهى كالعصمة للأنبياء من كل ما يخالف الشرع. لذلك، كانت غيبة الإنسان عن نفسه حضورا مع الله، والعكس بالعكس، والله تعالى هو المسيطر على قلوب بنى آدم، فإذا قهرت الجذبة الإلهية قلب طالب، كانت غيبة قلبه متساوية بالحضور مع الله تعالى، وانمحت الشركة والقسمة، وانتهى النسب الذى يدلى لنفسه.

الغيبة والصحو

إذا جذبتك به العناية حتى أجلستك على مستوى الوراثة أو زجت بك فى أفق البيان بعامل الانتقال فبين فى الغيبة جلى البيان، فإذا صحوت فاحذر أن تبين إلا ما يناسب المسامع والقلوب، فإنك فى حال غيبتك عنك محمول على رفارف العناية، وإنما تمد موائد الكرامة لأهل العناية فإذا أبسط بساط الإيناس فأطلق عنان الأنفاس،

فإنك فى ذا المقام مأذون وعلى ما تبديه مأمون، وليس هذا الشأن عادة وإنما هى صولة الحق على من يتجمل بالحب لنفع الخلق.

الجمع والفرق

حقيقة سر الجمع هى معرفة إرادة الله، وأما الفرق فهو إثبات ما أمر به أو نهى عنه، مثال ذلك:

أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسماعيل عليه السلام لكنه أراد أن لا يفعل ذلك، وأمر إبليس أن يسجد لآدم وأراد غير ذلك، وأمر آدم بأن لا يأكل من الشجرة وأراد أن يأكل منها.

فالجمع: هو ما اتصل بصفاته. والفرق: هو ما فرقه بأحكامه.. وكل ذلك يحتوى على سر الإرادة الإلهية، وإثبات المشيئة الإلهية حتى تفنى المقاصد الشخصية.

والجمع بلا فرق زندقة، وكل فرق بلا جمع تعطيل، والجمع تجريد التوحيد، والتفرقة تجريد الاكتساب عن العبد، وفلان عين الجمع يعنى قد استولت مراقبة الحق على باطنه، فإذا عاد إلى شئ من أعماله عاد إلى الفرق. فصحة الجمع بالفرق، وصحة الفرق بالجمع، وهذا يرجع إلى أن الجمع من العلم بالله، وأن الفرق من العلم بأمر الله، ولابد منهما جميعا، فالجمع حكم الروح، والتفرقة حكم القلب، فما دام هذا التركيب باقيا فلابد من الجمع والتفرقة، فإذا نظرت إلى نفسك فرقت، وإذا نظرت إلى ربك جمعت.

ٱلْجَمْعُ حَالَ ٱلْوَفَا مَحْوُ ٱلإِشَارَاتِ ... حَتَّىٰ يَلُوحَ ٱلْبَهَا فِي أُفْقِ مِرْآتِي

وَٱلْجَمْعُ حَالَ ٱلصَّفَا إِثْبَاتُ مَرْتَبَتِي ... نُورٌ يُضِيءُ بِمَجْلَىٰ حَضْرَةِ ٱلذَّاتِ

ٱلْغَيْبُ يُشْرِقُ لِي وَٱلْبَدْءُ مَنْزِلَتِي ... وَٱلْجَمْعُ فَرْقِي إِذَا حَقَّقْتُ إِثْبَاتِي

لَوْحٌ لأَنْوَارِ أَسْرَارٍ مُقَدَّسَةٍ ... أُمُّ ٱلْكِتَابِ بِهَا تَفْصِيلُ آيَاتِي

ٱلْجَمْعُ سِرُّ ٱتِّحَادٍ ﴿كُنْ﴾ بِهِ مُحِيَتْ ... عَنِّي لَدَى ٱلْجَمْعِ فِي أَعْلَىٰ نِهَايَاتِي

قَدْ جُزْتُ عَوْدِي وَبَدْئِي ثُمَّ لِي ظَهَرَتْ ... مَعْنَىٰ ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ ذُقْ إِشَارَاتِي

لاَ بَدْءَ لِي وَأَنَا آيٌ مُقَدَّسَةٌ ... تَخْفَىٰ عَنِ ٱلْعَقْلِ عَنْ آيِ ٱلنُّبُوَّاتِ

لِلْبَدْءِ عُدْتُ بِجَمْعِي أَوَّلاً وَبَدَا ... نُورُ ٱجْتِلاَ ٱلْوَصْفِ يُنْبِي بِٱلْكَمَالاَتِ

لاَجَمْعَ لاَ فَرْقَ وَٱلأَسْرَارُ غَامِضَةٌ ... سِرُّ ٱلسُّلُوكِ بَدَا فِي رَمْزِ مِشْكَاةِ

لِلْمُقْتَضَىٰ حِكْمَةٌ تُنْبِي بِقُدْرَتِهِ ... وَٱلْبَدْءُ رَمْزٌ لِظِلِّي أَوْ لِهَالاَتِ

ٱلشَّمْسُ قَدْ أَشْرَقَتْ أَخْفَتْ بِطَلْعَتِهَا ... كُلَّ ٱلنُّجُومِ وَأَخْفَتْ كُلَّ ظُلُمَاتِ

هٰذَا هُوَ ٱلْجَمْعُ فَصْلِي فِي مُوَاصَلَتِي ... عَيْنٌ أَضَاءَتْ بِلاَ أُفْقٍ وَحَيْطَاتِ

لَوْلاَ ٱلتَّنَزُّلُ فِي طَوْرِ ٱلظُّهُورِ بَدَا ... أَنْوَارُ ظَاهِرِ مَجْلَىٰ حَضْرَةِ ٱلذَّاتِ

لِلْعَقْلِ مَظْهَرُهُ لِلرُّوحِ مَشْهَدُهُ ... لِلسِّرِّ وَجْهٌ وَمَحْوِي فِيهِ إِثْبَاتِي

مِنْ بَعْدِ مَحْوِيَ سِرُّ ٱلسِّرِّ كُنْتُ أَنَا ... غَيْبٌ عَلاَ عَنْ خَفِيَّاتِ ٱلإِشَارَاتِ

مِنْ بَعْدِ غَيْبِي تَرَىٰ فِي ﴿كُنْتِهِ﴾ ظَهَرَتْ ... أَسْرَارُ قَبْضَةِ أَنْوَارِ ٱلْكَمَالاَتِ

غَيْبٌ عَصُونٌ فَلاَ ٱلأَرْوَاحُ تَشْهَدُهُ ... مِنِّي عَلَيْكَ حَبِيبِي خَيْرُ صَلَوَاتِي

التنزيه والتشبيه

ليس التنزيه تنزيهك الحق عن نقصك والعالم، إنما التنزيه أن تنزهه عن التنزيه، مع اعتقادك أنك عاجز عن معنى تنزيهه، وما نزهه حقا من لم يشبهه شهودا. وليس

التشبيه أن تجعل له قبلا تتصوره، أو صورة ترسم حدودها على جوهر نفسك، وإنما هو علمك نفسك من حيث البداية، فإن معناك الروحانى باطنك، ومعناك الجسمانى ظاهرك، وهو الظاهر والباطن، وهذا المقام الروحانى الذى به علم الملائكة ما لم يكونوا يعلمون، فاشهد تسبيح نفسك له إذا تجلى لك بالسميع، واسمع تنزيه حقائقك له سبحانه إذا تجلى لك باسم البصير، لديها تعرف نفسك فتعرف ربك، وما انكشف لك إلا أنت، وهو علي عن أن يدرك، عظيم عن أن يشبه، وهو له نور أنى نراه؟!!.

الخلق والجعل

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ (الأنعام: ١). فالظلمات والنور هم مقتضى الإنسان إذ أنه من روح وجسد.

فالجسد ظلمة حيث إنه يستر الروح، وهى النور من شهود الأحدية، ونجد أن الله قد عدد الظلمات لأن الجسم رمز الواحدية وهى مقتضى الكثرة، بينما أفرد النور لأن الروح هى التى شاهدت الأحدية قبل خلق الأشياء فهى رمز لها، والأحدية مقتضى الوحدة، ونجد أنه سبحانه وتعالى قد جعل السموات والأرض خلق، والظلمات والنور جعل وليس خلق، والجعل فوق الخلق، وهذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، فهم محل التكريم من الحق عز وجل على سائر الكائنات.

السكينة

السكون هو الذى يترله الله تعالى فى قلب عبده المؤمن عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا يترعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات، ولهذا أخبر الله سبحانه وتعالى عن إنزال السكينة على رسول الله ﴿ص وآله﴾ وعلى المؤمنين فى مواضع القلق والاضطراب كيوم الغار ويوم حنين..

ومعلوم أن للنفس همامة حركة وجولة فكرة بحسب صفاء جوهرها وتزكيتها من دواعى عنصر هيكلها، فإذا طاشت بها مقتضيات العناصر فى حال قيامها مقام العامل للحق، وانفعلت بالبواعث الحسية، وكان لها الحسنى من الله تعالى فى سر القدر تداركها الله بالسكينة فسكنت النفس إلى منفسها، وأقبل القلب على مقلبه هيبة لعظموت الجلال، وخشية من عزة المجد. فالسكينة سكون النفس إلى المنفس جل جلاله بالهيبة والخشية عند المقتضيات، فتكون بحسب المقتضى لا فى كل آن.

وقد تكون بانكشاف الحقائق جلية فى مقام المحدثين، وقد تترل على القلوب بعد علم ما فيها، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

فالأولى كسكينة بنى إسرائيل، وهى آثار من آثار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يثبت الله بها القلوب عند الفزع، وتطمئن بها النفوس عند الجزع، تحمل عند الخوف فيحصل الأمن، وعند الزلزلة فيحصل التثبيت.

والسكينة الثانية جذبة الحق الذى يجذب بها العبد المراد لذاته سبحانه فيشهده على آياته ويعلمه القرآن ويأذنه بالبيان، فيكون محدثا من المحدثين، ينطق بالحكمة العلية ويبين سر الأزلية، ويشهد النفوس أنوار القدوس، يخبر عن الغيب المصون

ويبين أسرار المكنون، وهو الذى جعل الله له نوراً يمشى به فى الناس بعد موتة الإرادة قبل موتة عزرائيل.

وفى السكينة التى نزلت على القلوب معان منها النور والقوة والروح، فالنور ببيان مراد الله فى سر قدره، والقوة فى الإقدام على مراضى الله ومحابه، والروح لتسكن نفس الجزع، ويطمئن قلب الفزع، ويتروح المحزون، ويأنس المكروب، ويرجع الغالى إلى الوسط، ويرتقى المتهاون إلى الوسط بها، وتزكو نفس الأبى والجرئ، وكفى أنها تسكن بها النفس إلى منفسها، وسكونها هو محبوب الله؛ لأن الله خلق النفس متحركة وأمرها بالسكون إليه، فسكونها بالمنة، وحركتها للمحنة، وفى حركتها هلاكها، وفى سكونها نجاتها، فالسكينة فى الحقيقة نجاة النفوس من كل موجبات البؤس. أسأل الله تعالى أن يمن علينا بالسكينة، حتى تسكن إليه سبحانه نفوسنا، وتطمئن بذكره تعالى قلوبنا.

إِلَى ٱلْمُنَفِّسِ هَيَّا فَٱسْكُنِي نَفْسِي ... كَيْمَا تَنَالِي ٱلرِّضَا فِي حُظْوَةِ ٱلأُنْسِ

خَلِّ ٱلْعَوَالِمَ مِنْ عُلْوٍ وَمِنْ سُفْلٍ ... إِلَىٰ مُحِيطِ سِيَاجِ ٱلْعَرْشِ وَٱلْكُرْسِي

يَانَفْسُ إِنَّ جَمَالَ ٱلْكَوْنِ عَارِيَةٌ ... يَفْنَىٰ وَغَايَتُهُ أَنْ تَدْخُلِي رَمْسِي

فِرِّي إِلَى ٱللَّهِ يَانَفْسِي مُسَارِعَةً ... كَيْفَ ٱلْحِجَابُ بِمُلْكٍ أَوْ بِفِرْدَوْسِ؟!

ٱللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ دُنْيَا وَآخِرَةٍ ... قَدْ أَنْبَأَتْنِي عَنْهُ نَفْخَةُ ٱلْقُدْسِ

يَانَفْسُ بَعْدَ شُهُودِ ٱلْعَيْنِ يَحْسُنُ بِي ... نِسْيَانُ ذَنْبِيَ فِي يَوْمِي وَفِي أَمْسِي

نَصُّ ٱلْقُرَآنِ صَرِيحٌ نَفْسُ فَٱدَّكِرِي ... فِرِّي إِلَى ٱللَّهِ مِنْ رَيْبٍ وَمِنْ لَبْسِ

يَاقَابِلَ ٱلتَّوْبِ إِنِّي قَدْ أَنَبْتُ إِلَىٰ ... عَمِيمِ فَضْلِكَ فَٱحْفَظْنِي مِنَ ٱلْحِسِّ

سُقْمِي وَشَيْبِي وَإِجْرَامِي تَدَارَكْنِي ... بِٱلْعَفْوِ مِنْكَ وَبِٱلرِّضْوَانِ فِي أُنْسِ

وَسِّعْ عَطَايَاكَ لِي أَكْرِمْ بَنِيَّ وَكُنْ ... عَوْنًا لإِخْوَانِنَا مِنْ فَادِحِ ٱلْبَأْسِ

تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَٱمْنَحْ شِفًا فَضْلاً ... وَٱلرَّاحُ بِٱلْعَيْنِ فَٱمْنَحْهُ بِلاَ كَأْسِ

حَتَّىٰ أُهَنَّىٰ بِمَـــا تُولِيـــهِ مِـــنْ حُسْـــنَىٰ كَشْفًا عِيَانًا بِعَيْنِ ٱلـــرُّوحِ وَٱلـــرَّأْسِ

الحال الظاهر

الظاهر من الأعمال ميزان الخلق، والحق محل نظره القلب، فعلى الإنســـان أن يحكم على الناس بظواهرهم حالا غير موقن بالمآل، فقد يكون المآل على مقتضـــى ظاهرهم، وقد يكون على غير ذلك، وكل ذلك بحسب الســـابقية. أنـــت أيهـــا الإنسان لا تعلم ما سبق فى العلم، فلا تفرح بحسن الحـــال الظاهر فى آخـــر، ولا تحزن بسوء الحال الظاهر فى آخر، فإن الأحوال تتحول والشئون تتجدد، ولكـــن عليك أن تجعل الشكر حصنا لحسن حالك، والابتهال وسيلة لتحسن مآلك.

أنت أيها الإنسان اجعل ثقتك بمن لا يتغير ولا يتحول، وأوصل نسبك بنسبه، وأنس به ليدوم فرحك وتتوالى عليك البشائر فى دنياك وآخرتك، واجعل مدحك للناس فى حال إحسانهم بلسانك تنشيطا لهم، ولا تركن بقلبك إليهم لتكون علـــى حذر منهم. ليس كل إقبال موجبا للقبول، ولا كل تمسك بالصالحات مؤديـــا إلى الوصول، وإنما تصل إلى مولاك بنسبك، وتقبل لديه بأخلاقه التى تتجمـــل بهـــا، فنسبك له عبد مفتقر مضطر، ونسبته إليك رب يمدك بالإيجاد والإمداد.

ليس الوصول تلذذ بالأعمال وتجمل بالأحوال، إنما الوصول معرفتك نفســـك وعلمك مرتبتك، وتحققك بفاقتك واضطرارك له، فكم من عامل بالكتاب والسنة وهو أشر على المسلمين من الجِنَّة، وكم من متظاهر بزى المسلمين وهو أضر عليهم من الشياطين، فجمل باطنك لمولاك يدوم وقتك وعلاك، متى تتجمـــل بالعبوديـــة وأنت ترى نفسك خيرا من سواك، أو أولى بفضل مولاك؟ عجبا لك! أو تقســـم رحمة ربك؟! إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

الحال القاهر

ليس الحال بالتكلف، ولو كان الحال بالتكلف لناله أهل الرياضة، ولكنه وارد الحق يهجم على القلوب فيصول عليها صولة حقانية، فيفر العبد إلى الله ناسيا ما سواه، وكم من ملك فارق الملك فارا إلى البادية، وكم من عزيز هجر العز ورضى بالذل، وكم من غنى أنفق أمواله على الفقراء وخرج يتسول، وكم من عظيم فى قومه صال عليه وارد الحق فخرج من عظمته بين قومه وصار يحتطب أو يحمل القمامة ليملأ بطنه، وكم من خارج ليقطع الطريق فاقتطعه الله، وكم من عازم أن يقتل عدوه فقتله الله بسيف المحبة ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (الحديد: ٢١). ولولا ذلك لادعى تلك الحال العباد والزهاد، وكم عابد وزاهد لا يشم هذا الطيب ولا يشهد هذا المشهد، وإنما هى خصوصية يختص الله بها من يشاء من عباده، وكم من سالك يتعلق بالأسباب والله يجذبه إلى التجريد حتى يتحقق أنه مجذوب إلى التجريد، فيترك الأسباب ويعكف على الله متوكلا عليه ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١). ومتى طلب الله العبد وطلب العبد الدنيا، ضاقت عليه الدنيا حتى تصير كسم الخياط فلم يجد لها وجهة، فيرجع مقهورا إلى الله ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ (الأنعام: ١٨). فإذا رجع إلى الله رجع الله إليه وأقبل بوجوه الخلق عليه، ويسر له الأمر من حيث لا يحتسب، وفتح له أبواب الخير، ولديها يصح اليقين ويزول التلوين واللبس، وتسكن النفس إلى منفسها، فيحلو له التوكل على الله، ويطيب له التفويض إليه، ويصح منه الإسلام له.

إن الله جل جلاله لا يكرم من استهان بأحكامه ولا من عصاه، ولا ينـــال ما عند الله إلا بطاعته. وإنا لنقرأ فى تراجم الرجال من إكرام الله لهم ما هو برهـــان ناصع على أنهم أطاعوا الله فأطاعهم، واستجابوا لله فاستجاب لهم، وعملوا بوصاياه فتولاهم، واتبعوا حبيبه سيدنا ومولانا محمداً ﴿**ص وآله**﴾ فأحبهم الله لحبهم له ﴿**ص وآله**﴾ .

والله أسأل أن يمنحنا التسليم، ويجملنا باليقين، ويهب لنا الحب الخالص لوجهه الكريم، ويحفظنا من البدعة فى سنة سيد المرسلين، ويشرح صدورنا، وييسر أمورنا، إنه مجيب الدعاء.

الباب السادس

الإمامة نيابة عن الرسالة

الفصل الأول:

سر الدعوة إلى اللّه

الحقيقة المحمدية

هى غيب مضنون لأنها تقتضى سر الإرادة للظهور، وكمال العناية للبطون، اقتضى الوجود الذاتى كمالا ذاتيا لاح أزلا فى كنوز الغيب المصون، ظهرت للأرواح العاليات سواطع أنواره فى غيبها المكنون عن العيون بأسماء الكمال العشرة، اقتضى المرموز بالأسماء المكنونة فى ظلمة الغيوب كمالا، غاب هذا الكمال عن عالم أعلى عليين، وظهرت أنوار مقتضاه بأسماء الجمال والجلال التسعة والثمانين، ولهذا ظهر بالبيان لأهل مقام الإحسان، وبالعيان لأهل مقام الإيقان، وبالإنابة فى مقام التجلى، وبالإشارة فى مقام التخلى، ألاح الآيات المخفية للكائنات، وظهر للأرواح فى مرائى الأشباح، والحق واحد وإن كثرت أسماؤه، وإنما هى لواحد أحد. والخلق واحد وإن كثرت أنواعه وأفراده، لأنه مرآة لشروق الإشراق، وسدرة لغشيان معانى الصفات، وحظوة التلاقى. والواحد مراد الأحد وهو سر الإيجاد والإمداد، فكانت حقيقته المحمدية نور تلك المقتضيات الكمالية، تضيء بوميض الكمال الذاتى فى حضرات الأسماء إجمالاً وتفصيلا، فلها الأولية إيجاداً فى عالم ظهور الغيب، ولها الخاتمية إيجاداً فى عالم الشهادة، وهى الجوهرة المرادة للحق أزلا وأبدا جل جلاله، والكل لها لمقتضى كينونتها.

وبحكم تلك الصورة التى تظللت بأنوار تلك الحقيقة أكرم الله بني آدم وحملهم فى البر والبحر، وسخر لهم كل شئ فى ملكه وملكوته، تلك الحقيقة من حيث هى بالنسبة لمبدعها وموجدها وهى بالنسبة للمبدعات، فهى الكوكب الدرى المضيء بزيت الظهور فى المثال، ونور البطون فى المواجهة. ولما كانت تلك الحقيقة الفردية هى المرادة للحق أزلا وأبدا اقتضى هذا الفضل العظيم أن يجملها بمحابه ومراضيه هيئة وعقيدة وعملا وحالا وعلما وكشفا وشهودا، وأظهره جل جلاله مجملا بمحابه ومراضيه التى اقتضتها المكانة الإنسانية بقدرها، فكان ظهوره لنا بقدر المرتبة وحقوق المكانة فوق مقدار أرواحنا، ومن ذاق حلاوة ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ (الحجرات: ٢). يشم عبير هذه الروضة، ومن سطعت عليه أنوار ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠). يذوق طهور هذا الشراب، ومن تناول رحيق ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح: ٩). اصطلم بمعناه.

العبد

من عرف العبد سعد بالزلفى، ومن تشبه به فاز بالحسنى، والعبد لا يعرفه إلا من أحبه الله، ولا يتشبه به إلا من اختاره واصطفاه. العبد شهود الواصلين ، وبشهوده معية الله رب العالمين. أحب العبودية فى العبد وأحب الله فى العبودية، ولا تحب العبد فى العبودية ولا تحب العبودية فى الله، أقبل بكلك مسارعا، والحظ ربك معينا موفقا نافعا، حتى تشم وميض أنوار العبودية فى أمن الشريعة وروض التوحيد، وأثبت الحدث من غير لبس، ونزه القدم فى حالة الأنس لتكون مجملا بحلل الحضرتين، ناظراً بالعينين، موفيا للدين، حاضرا بالروح فى قاب قوسين.

لِلرُّوحِ نَشْوَتُهَا مِنْ مَشْهَدِ ٱلْوَجْـــدِ ... لِلْعَقْلِ بَهْجَتُهُ فِي مَطْلَـــعِ ٱلْحَـــدِّ

لِلْحِسِّ إِمْدَادُهُ مِنْ عِلْمِهِ ٱلْكَسْـــبِي ... لِلْجِسْمِ إِسْرَاعُهُ لِلْفَـــوْزِ بِٱلْوَعْـــدِ

لِنَفْحَةِ ٱلْقُدْسِ إِشْرَافٌ عَلَى ٱلْمَجْلَـــىٰ ... إِذَا تَجَلَّىٰ لَهَا ٱلْمَحْبُـــوبُ بِـــٱلْوُدِّ

ٱلْعَبْدُ جُمِّـــلَ بِٱلأَوْصَـــافِ مَنْزِلَـــةً ... فَوْقَ ٱلْمَقَامَاتِ بِٱلإِحْسَانِ لاَ ٱلْجَهْدِ

عَبْدٌ يُحِيطُ بِهِ ٱلْوَجْهُ ٱلْجَمِيلُ عَـــلاَ ... يُجْلِي ٱلْعُبُودَةَ فِي ٱلإِصْدَارِ وَٱلْـــوِرْدِ

يَانَفْحَةَ ٱلْقُدْسِ فِي ٱلإِسْرَاءِ هَلْ تُجْلَـــىٰ ... لِلرُّوحِ سَاطِعَةٌ فِي حُظْوَةِ ٱلْعَهْدِ؟!

فَٱلْعَبْدُ صُـــورَتُهُ تُخْفِـــي مَكَانَتَـــهُ ... غَابَتْ مَعَالِمُهُ عَنْ وَاصِـــلٍ فَـــرْدِ

ٱلْعَبْدُ كَنْزُ هُدًى شَمْسٌ تُضِيءُ دُجًـــى ... مَنْ شَامَهُ نَالَ مِنْهُ غَايَـــةَ ٱلْقَصْـــدِ

ٱلْعَبْـــدُ رَحْمَتُـــهُ ٱلْعَبْـــدُ نِعْمَتُـــهُ ... يُحْيِي ٱلْقُلُوبَ بِمَا يُولِيهِ مِنْ رِفْـــدِ

لَمْ يَعْرِفِ ٱلْعَبْـــدَ إِلاَّ ٱلْمُفْـــرَدُونَ رَأَوْا ... ظِلاَلَهُ أَشْرَقَتْ فِي ٱلْمَطْلَعِ ٱلْحَـــدِّي

ٱلْعَبْدُ لَـــمْ يَعْرِفْنَـــهُ غَيْـــرُ خَالِقِـــهِ ... مَنْ صَاغَهُ قَائِمًا لِلْحُبِّ وَٱلرُّشْـــدِ

أَسْرَىٰ بِهِ ٱللَّهُ لَيْلاً كَيْ يُـــرَىٰ غَيْبًـــا ... لِكُلِّ أَعْلَيْنَ فِي ٱلإِطْلاَقِ وَٱلْقَيْـــدِ

إِذَا رُئِـــي ذُكِـــرَ ٱللَّـــهُ لِرُؤْيَتِـــهِ ... أَقْبِلْ بِرُوحِكَ مُشْتَاقًا إِلَـــى ٱلْعَبْـــدِ

ٱلْعَبْدُ حَيَّرَ عَقْلِي كَيْفَ أُدْرِكُ مَـــنْ ... قَدْ جَمَّلَ ٱلْعَبْدَ بِٱلأَوْصَافِ وَٱلْوَجْـــدِ

مَنْ يَعْرِفِ ٱلْعَبْدَ يَعْرِفْ رَبَّهُ فَضْـــلاً ... مَنْ يَجْهَلِ ٱلْعَبْدَ يُبْلَىٰ ثَمَّ بِٱلصَّـــدِّ

مَنْ يَعْرِفِ ٱللَّهَ قَبْلَ ٱلْعَبْـــدِ يَجْهَلْـــهُ ... ٱلْعَبْدُ رَوْضُ ٱلرِّضَا فِي مَشْهَدِ ٱلْمَجْدِ

مَـــوْلاَيَ أَدِّبْنَـــا بِٱلْكَشْـــفِ أَيِّـــدْنَا ... حَتَّىٰ نَنَالَ شُهُودَ ٱلْعَبْـــدِ بِٱلْعَبْـــدِ

هَلْ فِي ٱلسُّوَيْسِ تَرَاءَى ٱلْوَجْهُ حَيَّرَنِـــي؟! ... أَمْ جَرَّدُونِي عَنِّي جَذْبَةَ ٱلْعَـــوْدِ؟!

أَمْ تَرْجَمَتْ نَفْحَةُ ٱلْقُدْسِ ٱلْعَلِيَّةُ عَـــنْ ... أَسْرَارِ إِسْرَائِهِ فِي حُظْوَةِ ٱلْحَمْـــدِ؟!

رَوِّحْ نُفُوسًا بِإِحْسَانٍ يَـــدُومُ لَهَـــا ... بِٱلْوَجْهِ آنِسْنَا فَضْـــلاً لِمُسْـــتَجْدِ

الفصل الثانى:

الورثة

الورثة أربعة: ورثة الأقوال، وهم حملة الشريعة الأمناء الممنوحون الفهم. وورثة الأعمال، وهم العباد الورعون. وورثة الأحوال، وهم أهل المواجيد الصادقة المحدثون. والوارث الفرد الجامع وهو هيكل الرب، ومشكاة المكانة المحمدية، وشجرة زيتون المثل الأعلى للمكانة الأحمدية، القائم بالحى الذى استظهر بالقرآن من لدن، ورتله محادثة مع ربه بعد تلاوته، لأن الفرد قرآنى هو الذى أفرده الله بالإيثار لحبيبه، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (الحجر:٨٧).

وعظيم هنا إشارة إلى إقبال القلوب على الفرد القائم إقبالا به يكون القرآن عظيما فى نفوسهم بعد غفلة القلوب. ولكل وارث أصحاب، ولكن الرضوان الأكبر لأهل الفرد الوارث الجامع لأنهم أهل الذكر الأكبر، وذلك لأنهم استغرقوا فى ذكر الله فى كل شأن بعد أن أتقنوا الوضوء وصلوا الركعتين لله- قال ﴿**ص وآله**﴾ (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ ٱلْوُضُوءَ وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ للهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (رواه الطبرانى فى الكبير).

والوضوء طهارة الجوارح السبع حسا ومعنى، وهو المشار إليه بقوله ﴿**ص وآله**﴾ (أحسن). والصلاة تحقيق تعيين المرتبتين لحصول المواجهة حال القيام والركوع والسجود. فتكون كل جارحة ذاكرة الله بحسب أفقها المبين لها، وأصحاب الفرد الجامع بين مستحضر أو حاضر، فبدايتهم المراقبة من حيث أنفسهم، ومرتبة البدنية من حيث الصحبة، فتراهم يدعون إلى الله فى بدايتهم كما

يدعون غيرهم فى نهايتهم، وهم فى أنفسهم فى بداية المجاهدة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهم صفوة الله من عباده وخيرته فى كل قرن.

أما الفرد القرآنى فالكبريت الأحمر اشتاق إليه وإلى أصحابه رسول الله ﴿ص وآله﴾ وناهيك بهذا الفخر، وما مضى قرن من القرون بعد الصحابة إلا وكل مستقيم يحن إليه ويتمنى رؤيته.

نُورُ ٱلْوِرَاثَةِ لاَحَ لِلأَبْصَارِ ... سِرُّ ٱلْفُتُوَّةِ لاَحَ لِلأَسْرَارِ

شَهِدَ ٱلرِّجَالُ حَقَائِقًا لَمْ تُشْهَدَنْ ... إِلاَّ لأَهْلِ ٱلْكَشْفِ وَٱلأَخْيَارِ

فَازَ ٱلْكِرَامُ بِوُسْعَةٍ فِي نِعْمَةٍ ... مِنْ مُنْعِمٍ مُعْطٍ وَمِنْ غَفَّارِ

مَا قَدْ مَضَىٰ قَدْ عَادَ نُورًا مُشْرِقًا ... مِنْ سَادَةِ ٱلأَفْرَادِ وَٱلأَبْرَارِ

عِلْمٌ وَحَالٌ حُجَّةٌ نَبَوِيَّةٌ ... رَاحٌ طَهُورٌ دَارَ بِٱلْمِدْرَارِ

قَدْ أَسْكَرَ ٱلأَرْوَاحَ رَاحُ مُحَمَّدٍ ... طَـٰهَ ٱلْحَبِيبِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارِ

الفصل الثالث:

الوراثة الأكملية نيابة عن الحضرة المحمدية

خصوصيات المرشد

المرشد يجب أن يكون أكمل رجل فى عصره وأشبه برسول الله ﴿ص وآله﴾ ، وهذا يجب علينا أن نبحث عنه بصفته وارثاً لرسول الله ﴿ص وآله﴾ ، فإذا سمعنا به أو علمنا عنه أو رأيناه واتبعناه سعدنا فى الدنيا والآخرة، ونلنا مؤانسة الحق ومواجهته ومشاهدته، ولو التفتنا عنه بعد التحقق به فقد التفتنا عن رسول الله، والالتفات عن رسول الله كفر وهلاك فى الدنيا والآخرة، ووظيفة المرشد هى النيابة عن حضرة الرسول ﴿ص وآله﴾ لتحقيق كلام الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ (الحجرات: ٧)، فينا بورثته الذين قاموا مقامه لدعوة الخلق إلى الحق، وصفاته كما قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٥١)، هذه الصفات الخمسة هى ميراث رسول الله ﴿ص وآله﴾ القائم بها وارثه لحفظ القرآن، وإقامة الحجة وبيان المحجة، وبيان أمراض النفوس وتزكيتها. والإنسان بفعله وعقله لا يدرك محاب الله ومراضيه بنفسه، ولو علم الله أن العقول تدرك ما يحبه الله لما أرسل رسولا، فإذن وجب البحث عمن ظهرت فيه وراثة رسول الله ﴿ص وآله﴾ لوجوب الاتباع له.

ومرشد يدعى الإرشاد و لم يتخلق بالرحمة والغيرة لدينه وفرق المسلمين شيعا ليس بمرشد ولكنه شيطان، ومرشد يدعى الإرشاد ليجمع المال أو العوائد والعصبة ليس بمرشد، ومرشد يفرق المجتمع ويبغض مسلما ليس بمرشد ولكنه من دعاة إبليس. وليس هناك خليفة إلا من كمل إيمانه وكملت أخلاقه، ولا تخلو الأرض من ذلك المرشد الكامل، أبقاه الله لنا، ورزقنا حسن اتباعه، ومنحنا صحبته فى الدنيا والآخرة.. آمين والحمد لله رب العالمين.

السعى إلى المرشد

أفضل من السعى على المعاش

ليس للجاهل عذر بل الواجب عليه أن يسعى وراء العارفين بالله، ليعرف كيف يعبد ربه وإلا ضيع عمره فى لهو ولعب، ويوم القيامة أول ما يسأل العبد هل تعلمت أم لا؟! فإن لم يكن تعلم أمر به إلى النار، فلا عذر لجاهل أبداً إنما تقصيره فى ذلك عليه خسران وهلاك.

فاسعى إلى المرشد أكثر من سعيك على قوت يومك الضرورى، أنت إذا مت من الجوع لا تدخل جهنم، ولكن إذا ماتت روحك بالجهل خلدت فى جهنم، ولو كنت تملك ملك الدنيا بأجمعها فلا ينفعك بل يزيدك طغيانا وهلاكا، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢) وَإِنِّي (لَحَنْتُ)[1] لَكُمْ لِكَيْلاَ تَعْلَمُوا، وَٱللَّحْنُ يَعْلَمُهُ أُولُو ٱلأَلْبابِ.

(١) لحن لفلان: قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره لأنه يميله بالتورية عن الواضح المفهوم.

نتيجة اتباع المرشد

عين الرأس ترى الآثار، وعين العقول ترى الآيات بالفكر والاستحضار والتعليم، وعين الروح ترى جمال الله ، ونفخة القدس ترى وجه الله مترها ومقدسا قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥). وهذا نتيجة اتباع المرشد، وكل عمل بغير علم يضل، وكل علم بغير عمل يضل ويضل غيره، وقد استعاذ الله عن لسان الأنبياء بقوله: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧)، وقد استوى الجاهل فى هذه الآية بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، ولا يعظم الله إلا العلماء، ولا يعظمهم الله إلا العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ﴾ (فاطر: ٢٨) على الرفع والنصب فى القراءة.

خُذُوا بِٱلتَّلَقِّي سِرَّ حَالِي وَنَشْوَتِي ... فَعَنِّيَ تُتَلَقَّىٰ عُلُومُ ٱلْحَقِيقَةِ

فَلِي ظَاهِرٌ بِٱلشَّرْعِ أَشْرَقَ نُورُهُ ... وَلِي بَاطِنٌ تُجْلَىٰ بِهِ شَمْسُ وَحْدَتِي

فَلَمْ يَقْهَرَنْ سِرِّي رَمُوزَ شَرِيعَتِي ... وَلَمْ يَحْجُبَنْ جِسْمِي جَمَالَ هُوِيَّتِي

فَمَا شِئْتَ أَنْ تَرْأَىٰ إِمَامًا مُكَمَّلاً ... بِمِحْرَابِهِ تَرْآهُ فِي كُلِّ حَيْطَةِ

وَمَا شِئْتَ أَنْ تَرْأَى ٱلزُّجَاجَةَ أَشْرَقَتْ ... بِزَيْتِ ٱلتَّجَلِّي مِنْ مَجَالِي ٱلنَّزَاهَةِ

إِمَامٌ بِسِرِّ ٱلشَّرْعِ بَحْرٌ مُطَمْطَمٌ ... وَنُورٌ بِسِرِّ ٱلْغَيْبِ عَالِي ٱلإِشَارَةِ

وَمِنْ مَبْدَئِي وَٱلشَّرْعُ حِصْنٌ يَحُوطُنِي ... وَنُورُ ٱلتَّجَلِّي مُشْرِقٌ لِسَرِيرَتِي

وَأَوْجُهُ إِخْوَانِي مَفَاتِيحُ لِلْهُدَىٰ ... فَتَفْتَحُ رَوْضَ ٱلشَّرْعِ أَوْ رَوْضَ قُرْبَتِي

فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَشْرَبْ مِنَ ٱلْمَاءِ طَاهِرًا ... وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَشْرَبْ مُدَامَ مَحَبَّتِي

تَلَقَّوْا مَعَالِيمَ ٱلطَّرِيقِ فَإِنَّهَا ... هِيَ ٱلنُّورُ لِلسَّارِي بِصِدْقِ عَزِيمَةِ

لِظَاهِرِكُمْ حُلَلٌ هِيَ ٱلْوَصْلُ إِخْوَتِي ... وَلِلرُّوحِ أَنْوَارُ ٱلْمَجَالِي ٱلْعَلِيَّةِ

فَلَوْ أَنَّ عُجْمِيًّا صَغَىٰ لِعِبَارَتِي تَجَمَّلَ بِٱلْحِكَمِ ٱلَّتِي فِي ٱلشَّرِيعَةِ
وَلَوْ أَنَّ مَحْبُوبًا صَغَىٰ لِإِشَارَتِي يَصِيرُ هُوَ ٱلْمِشْكَاةَ نُورَ ٱلْهِدَايَةِ
فَعَنِّي خُذُوا بِٱلْقَلْبِ تَرْقَوْا وَتُرْفَعُوا لِأَعْلَىٰ مَقَامِ ٱلْقُرْبِ رَوْضِ ٱلْمَعِيَّةِ
وَإِنِّيَ أَخْشَىٰ أَنْ أُشِيرَ إِلَى ٱلصَّفَا فَيَسْمَعُ سِرِّي غَيْرُ أَهْلِ مَوَدَّتِي

الفصل الرابع

النسب الروحانى والتوسط فى الدعوة إلى الله

حقيقة القرابة

لما كان رسول الله ﴿**ص وآله**﴾ لم يكن له ولد، جعل كل مؤمن من أولاده وهو أبوهم، وفى قراءة: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ (وَهُوَ أَبُوهُمْ) (الأحزاب:٦)، وقد يحب العبد الزنجى التقى أكثر من ولده من أولاد الحسين الذى لم يستقم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقال تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (المؤمنين: ١٠١)، وقد تشفع رسول الله سيدنا نوح عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾ (هود:٤٥)، فأدبه الله بقوله: ﴿ ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾ (هود: ٤٦)، والمعنى يا نوح ليست البنوة هى القرابة الجسمانية، وإنما البنوة هى القرابة الروحانية باتباع دينك.

حال الفرد خاص به

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل: ١٢٥)، إن أسرار الحق، وأنوار اليقين، وعلوم المعرفة والإحسان غيب عن أبصار حجبت ببهجة الحظ، وعميت بزينة الحياة الدنيا، ولهيت بضروريات المعيشة، وغفلت بمزاحمات الآمال، ووقفت عند ما يلائمها من الحسن الحسى والجمال الكونى، فلم تستطع قواها أن تنفذ من مادة الكائنات إلى فسيح أفق العيان لعدم البيان، وأهل المكاشفات ممن زكت نفوسهم، وتطهرت أخلاقهم، وذاقوا راح اليقين بعد التمكين الأولى. لهم أن يجعلوا مقامات الخشية والرهبة والمراقبة والمحاسبة خاصة بهم لعدم المزاحم، وسطوع أنوار اليقين على قلوبهم، والأحرى بهم أن يتنزلوا عن مقاماتهم العلية ويتشبهوا بالعامة فى حالتهم، حتى يداووا أمراضهم بالدواء النافع الشافى الذى ركبه رسول الله ﴿**ص وآله**﴾ ، وأمر الله تعالى به، فيبدأ أولا بتطهير العقيدة من شك وشرك خفى، حتى إذا تحقق من حسن عقيدة الطالب أذاقه حلاوة الإيمان وثمرة اليقين، ثم جمل له الأخلاق وكشف له نتائجها، وبمن يتشبه بجميل الأخلاق، وبمن يتصل فى العوالم، ومن يحب من المقربين، ثم كشف له أسرار العبادات، ومزايا القربات، وفوائد الطاعات، ولديها يطالبه بترك الشبهات، ثم بالورع عن المباحات بحسن خلق وجميل عمل، حتى يكون درسه العملى أولى من الدرس العلمى، فيكسب الطالب بعمله صبغة علمية يكتسبها بالتقليد والفطرة والرغبة، من حسن الخلق، وجمال المعاملة، والحرص على تأليفه وتحببه إلى الخير، والمحافظة عليه من النفور أو الحل أو الكراهة لعمل الخير، حتى إذا لانت شوكة حظه واعتاد على الخير تعهده بالبشائر والقبول وعظيم الأجر، حتى يذوق خمر اليقين، ويشاركك فى وظيفتك من الأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر، ولديها بعد أن تستأنس منه، وتتحقق فى حسن بدايته، وشروق أنوار نهايته، اجعله معك فى أحوالك، ليتلقى ذلك بعيون منيرة بالإيمـــان، وقلـــب مستضئ باليقين، فيذوق شراب التوحيد الخالص بذوق طاهر وقلب سليم، ولكن إذا قهره ما يعلوه حال القرب ينسى بشريته وما كان عليه، ويعامل الناس بمقامـــه، فمن شاركه شرح له مقامه، وبين له أسراره، غير مبال مما يؤول إليه حال الطالب، فينتج عن ذلك ما لا يحمد.. والحمد لله على توفيقه.

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون **002 022 3901030**

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى ﴿ﷺ وآله﴾

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ **وآله**﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار
٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان
٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.
٢- العالم والتاجر والفلاح.
٣- المقتصد والمسرف والفاسد.
٤- السياسى والحكيم والغشيم.
٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.
٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.
٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.
٣- معارج المقربين.
٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.
٥- من جوامع الكلم.
٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخـــر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

المقدمة
الباب الأول: من غوامض أسرار العلوم الإلهية
الباب الثانى: نطق الآثار بما فيها من درر الأسرار
الباب الثالث: شروق عجائب القدرة وغرائب الحكمة
الباب الرابع: معارج أهل القرب
الباب الخامس: درر الإشارات فى رموز العارفين
الباب السادس: الإمامة نيابة عن الرسالة
الفهرس

تصويب

- ورد فى صفحة ٩: (أن أسماء الله الحسنى تسعة وتسعون منها: سبعون جمـــال، وعشرون جلال، وتسعة كمال).

- وورد فى صفحة ١١٦: (أن أسماء الكمال عشرة، وأسماء الجمال والجلال تسعة وثمانون).

- والصواب هو ما ورد فى صفحة ١١٦.